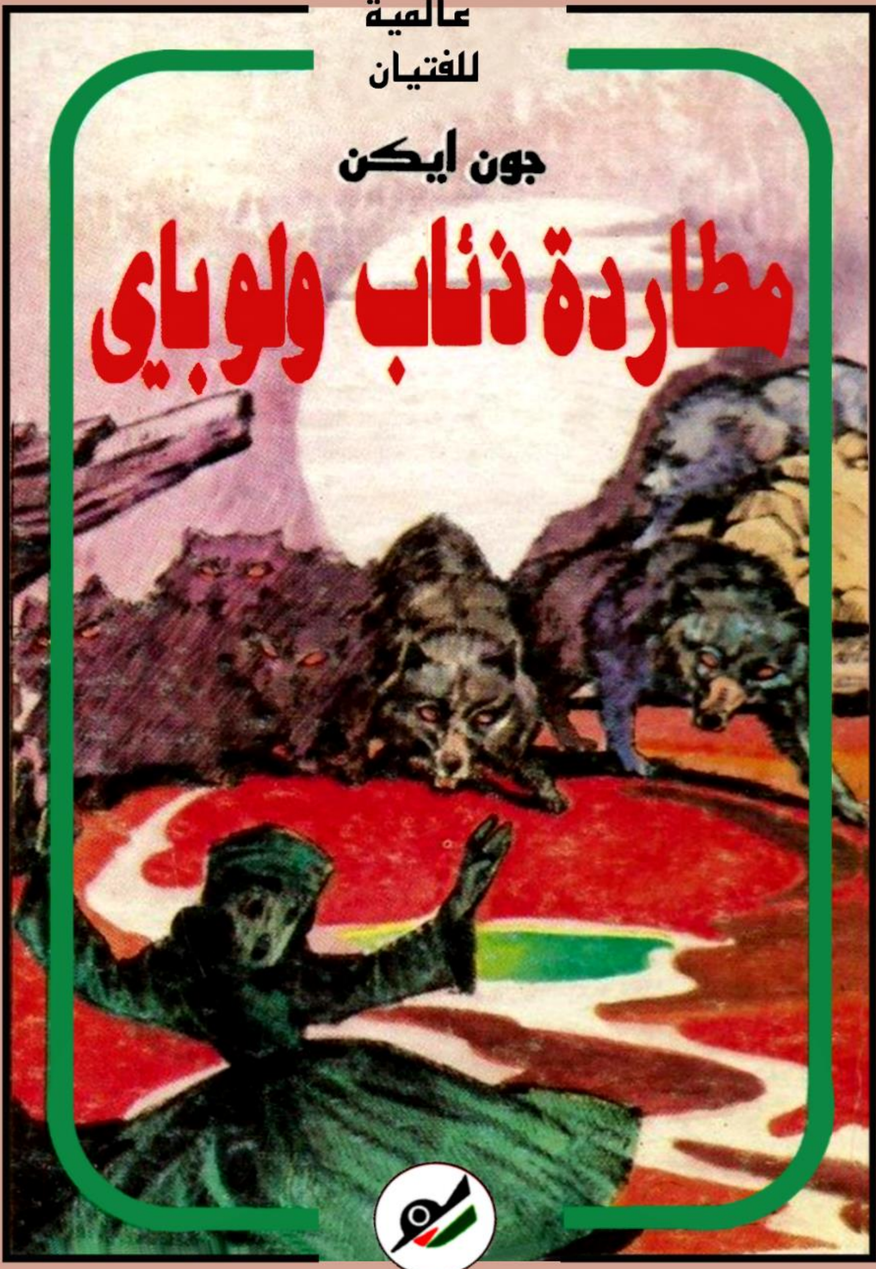
روايات
عالمية
للفتيان

جون ايكن

مطاردة ذئاب ولوباي



جو ن ايكن

مطاردة ذئاب ولوباي

ترجمة: ايناس احسان

مطارده ذئاب ولوباي
ترجمة: ايناس احسان
الصفحة الاولى ١٩٨٩

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام دار الثقافة
العراق بغداد ص. ب. ٨٠٤١

سلسلة روايات عالمية
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة فاروق يوسف

مطاردة ذئاب ولوباي

الفصل الاول

كان الوقت غسقاً غسق الشتاء، الثلوج البيض اللامعة تغطي التلال بكتل جليدية متدلية من اشجار الغابة. وكانت الثلوج قد غطت الشوارع المظلمة أمام عالم يسمى عالم ولوباي.

وكان الرجال قد بدأوا منذ الفجر يعملون بهمة ونشاط، وقد لفوا أنفسهم بالحبال هرباً من البرد القارس، ويسيرون أسراباً متجمعة خوفاً من الذئاب التي قد تكون وحشية وهائجة من الجوع في مثل ذلك الوقت.

وكـان الثلج السـاقـط سميكـاً فوق أسطح بيوت مقاطعة ولوباي، وذلك البيت الكبير الشاخص في ربوع الهضبـة المفتـوحة في قلب المنطقة، لكن مع ذلك كانت المصيدة تبدو مثل بيت مثير دافيء. رحب متين، وكانت حجارته القرمزية لامعة تتلألأ بسبب العناية بها، وكان البـرج والجدار متعدد الفتحات يقف شاخصاً يطاول السماء وكانت الشرفات المسننة مؤطرة بالثلج، وكل شرفة تحمل ستارة مربعة ذهبية للشباك. وكان البيت مضاءاً كله في الداخـل، أما الضجيج المرح المنبعث من الدار فكان رد فعلٍ للرياح والذئاب المختبئة في الغابة.

ضمت دار حضانة البيت بنتاً صغيرة ترقص وتقفز مرحاً جذلة أمام النافذة الكبيرة ذات الاربع عشرة فتحة والتي تطل على الحديقة والطريق الواسع المظلم.

تساءلت الفتاة بالحاح:

ـ هل ستكون هنا حالاً يا باترن؟. هل ستكون هنا؟

فقالت الخادمة:

ـ أستطيع القول إننا سنسمع بذلك قريباً يا آنسة بوني! كان ذلك جواب خادمتها غير المقنع. والتي كانت جالسة أمام النار تلف وتطوي ثنيات المعطف الصغير في

يديها.

التفتت الفتاة الى مربّيتها وقد اعتلت الكرسي المجاور للنافذة وقالت:

- الاحسن أن نحسب الثلج في الحديقة، قالت عبارتها وهي تقفز فوق فرشة الكرسي ذات اللون القرمزي وفي كل مرة تقفز فيها كانت تكاد أن تصل قريباً من السقف.

فقالت الخادمة باترن:

- كفى يا آنسة بوني، افعلي ما أقوله لك. ثم اضافت بعد هنيهة:

- انظري الى التراب الذي تثيرينه بقفزاتك، فأنا لا أستطيع أن أرى لساني من التراب المنبعث من تحت أقدامك، تعالي واجلسي قرب النار وسنسمع قريباً موعد وصول القطار؟

تركت (بوني) مقعدها مكرهة وجلست قرب النار.

كانت بوني رشيقة تبدو اصغر من عمرها، بخدين ورديين، وشعر ذي خصلات حالكة السواد، وعينين لامعتين زرقاوين على استعداد للرقص مع الضحكة او اللمعان مع الغضب، وكان ذقنها يعطي انطباعا ووعداً

بالقوة، وذات مزاجٍ حادٍ لا يسيطر عليه دائما لكن فمها كان حلواً.

انها في بعض الاحيان تبدو اكبر من سنها وذات عقل كبير. والان حين جلست تنظر الى النار، قالت:

- اتمنى آلا يتأخر موعد وصول القطار بسبب الذئاب.

فقالت باترن:

- هذا هراء يا عزيزتي الآنسة بوني لاتقلقي رأسك بمثل هذه الافكار المشوشة.

- أنت تعلمين بأن الحمالين وناظر المحطة محملون بالمسدسات والبنادق طوال الاسبوع.

في تلك اللحظة كانت هناك ضجة صادرة في الطابق الاسفل فأدارت (بوني) رأسها ووجهها المضيء المشرق باستغراب فاذا بالكلاب تنبح والرجال يصرخون بأصواتهم الجهور والجرس يرن باستمرارية ملحة، ركضت (بوني) بقفزات سريعة فوق أرضية الحضانة الواسعة، وكانت تفيض حيوية ونشاطاً. كانت تنزل السلم مسرعة باتجاه المدخل، وقد دفعها طيشها وتهورها الى أن تتكوم فوق قدمي امرأة طويلة نحيفة كاسية

نفسهـا من رأسهـا الى قدمهـا بثوب الرحلة الرصاصي الداكن ذي الياقة العالية، والنظارات السوداء السميكة والحذاء الاخضر الداكن. وقد أدى ركض بوني السريع الى سقوط هذه المرأة حين فقدت توازنها، وقالت مستغربة وبضيق ملحوظ.

- «من المسؤول عن هذا الصخب الفظ؟». تساءلت المرأة ووضعت النظارة مرة اخرى على أنفها.

- هل يمكن ان تكون هذه المخلوقة الوقحة تلميذتي؟.

اعتذرت بوني وهي تحاول أن تعدل هندامها:

- ارجو المعذرة؟

فقالت المرأة:

- «أتمنى ذلك؟ هل انا على صواب في تصوري أنك الآنسة غرين؟ انني الآنسة سلفكارب. مربيتك الجديدة، وأنا ايضاً ابنة عمك من الدرجة الرابعة». قالت المرأة ذلك بعجرفة كأنها وجدت الاستقبال غير مناسب.

فأجابت بوني:

- أوه. لم اكن أعلم ذلك، اعتقدت أنك لن تأتي الى الغد، كنت اتوقع قدوم ابنة عمي (سليفيا) التي ستحضر هذا المساء فأجابتها الآنسة سلفكارب ببرود:

ـ انا أعلم بذلك.

لكن هذا لايعـذرك عن التصرفـات السيئـة، بحق السماء أين هي انحناءات الاحترام؟

وبصـورة مرتبكة، قدمت بوني الاصوليات بأقل من اللازم لكن بتناسق واضح. وعلقت الآنسة سلفكارب:

ـ أرى أن تحتل دروس السلوك واللياقة مكانة رئيسية لانهـا ذات اهمية في جدولنا يا بوني» ثم التفتت لترى المكان الخاطيء الذي وضعت فيه حقائبها.

ـ انت يا سيد، لاتقف هكذا متكلفاً و مضيعاً للوقت، انظر هل تم وضع حقائبي في غرفتي وانظر فيما اذا قد اتت خادمتي لتساعدني على الفور.»

وانتبـه (جيمس) ـ الخـادم ـ الذي كان يتبـادل النظرات مع كبير الخدم في انه لم يستلم من السيدة اية أجرة خدمة نقدية وتساءل:

ـ هل جلبت معك خادمة يا آنسة؟

ـ كلا يا غبي، الخادمة التي سوف تعينها لي السيدة تنتظرني.

ـ «حسناً أعتقد أن الآنسة (باترن) سوف تساعدك» اجاب جيمس حاكاً راسه ومسلماً ومرتباً احدى التسع

حقائب ذات الجلد البراق على سلم الخدمات.

قالت بوني بلهفة:

- سأريك الطريق الى غرفتك. وحين تكونين مستعدة سآخذك لرؤية أبي وأمي وأتمنى ان نحب بعضنا البعض.

واستمـرت قاصـدة طريقها الى الطابق الاعلى على درجات السلّم المرمري وعندما عبرتا قاعة الصور قالت:

- سيكـون هناك الكثير لأريك اياه مجموعة رؤوس السهام الصيوانية ومجموعة أحجاري شبه الكريمة.

زمّت الآنسـة (سلفكـارب) شفتيهـا غير راضيـة وخشيت بوني من انها قد تكلمت كثيراً فسكتت ولم تقل شيئاً عن مغامراتها.

قالت بوني:

- «ها هي غرفتك» قالت ذلك وهي تفتح الباب وتعرض مجموعة جميلة من الغرف ذات الانوار المتقدة المرحة، ومفروشة بذوق جميل من خشب الماهاغوني.

- وهذه خادمتي «باترن» لتساعدك.

وحين خفضت الآنسة (سلفكارب) حاجبيها لهذا، عبّرت عن هذه الملاحظات بايماءة من رأسها.

وكانت (باترن) قد انحنت على حقيبة الملابس وبدأت بفتحها واخراج بعض الملابس التي قد تحتاجها المربية.

قالت بوني وهي تتهيأ للذهاب:

- إذن ساتركك بعض الوقت هل تودين عودتي بعد نصف ساعة؟

لم تجب الآنسة سلفكارب، ذلك لأنها كانت - وهي تحاول رفع فرشاة شعر مرمرية من المنضدة تطلق صرخة وحشية على الخادمة التي أخرجت حقيبة صغيرة تحتوي على رسائل:

- أيتها الشريرة من سمح لك با لعب بأوراقي؟

فتراجعت (بوني) الى الخلف برهة واحتد مزاجها بشدة وأخذت الفرشاة من يد الآنسة (سلفكارب) وقذفتها بصورة طائشة خارج النافذة الزجاجية ورفعت جرة ماء دافيء كانت الخادمة قد ا حضرتها لتوها ورمتها بوجه معلمتها الجديدة.

فزعت الآنسة (سلفكارب) من تصرفاتها وانخلعت قبعتها مع شعرها الابيض المستعار تاركة راسها الاصلع يقطر عرقاً ويشحب لونها وتزداد غيظاً وتستشيط غضباً.

ـ «اوه، آنــا آسفــة». قالت بوني «لم أكن أعني ما فعلته. فقد كان مزاجي متعكرا ولكن لا يجوز لك افزاع (بــاتــرن) فهي أحسن أصــدقــائي. يا باترن ساعدي الآنسة سلفكارب».

قامت الخادمة بمساعدة الآنسة سلفكارب في اعادة الباروكة المتبللة وأصلحت العطب الذي سببه الماء. لكن ارتجــاف شفتي الخــادمــة وأرنبــة انفهــا كان يصوّر استيــاءها في هذه المهمة وصار أثر ضربة الفرشاة على خدها يزداد احمراراً. صرخت الآنسة (سلفكارب) بوجه بوني واشارت الى الباب:

ـ اخرجي من الغرفة.

فرحت (بوني) بخروجها. وعلى الرغم من عودتها بعد نصف ســاعــة فقــد عملت جهدها في مصارعة مزاجها المتمرد. وقالت للمربية وقد سمحت لها بالدخول بعد أن طرقت الباب:

ـ «هــل ارافقــك الى امي وأبي الآن». وقــد غيرت سلفكارب لبسها الى فستان رصاصي آخر ذي ياقة بيضاء وتركت عباءة الرحلة جانباً وسمحت لبوني بقيادتها نحو شقة أبويها بعد ان أقفلت عدة أدراج والتي حفظت فيها

أوراقها ووضعت المفاتيح في حزامها.

ورقصت (بوني) التي كان غضبها لا يطول كثيراً، من شدة الفرح مشيرةً الى سلم الزنزانة الذي تزحلق عليه ابن عمهـا (روجر) والممر الذي كان يحوي سلماً سرياً وشرفـة للصيـد وفتحة الكاهن وأجزاء اخرى من بيتها المحبوب، وارتسم على وجه الآنسة سلفكارب اثناء تتبعها لبوني تعبير يبشر خيراً في مهنتها الجديدة.

وبعد ذلك توقفتا أمام بابين أكبر من كل الأبواب التي مرّتا بهما، ثم دخلتا على سيدة لطيفة أنيقة ورجل كان يجلس على كرسي عثماني وثير قرب المدفأة وقالت بوني:

- بابـا، ماما، يالها من مفاجأة، انظرا انها الآنسة سلفكارب وقد أتت قبل موعدها بيوم.

تقـدمت الآنسـة (سلفكـارب) وادت التحيـة الى مستخدميها فقال السيد (ولوباي) منحنياً قليلاً:

- انا آسف لعدم قدومي للندن لاجراء الاستعدادات اللازمة لكَ بنفسي ولكن صديقي الطيب ورجل الاعمال السيد (غريب) سيعلمك كيف سنعمل في ليلة المغادرة. وبكثير من العناية والاهتمام علمت بان لنا ابنة عم بعيدة وهي انت يا سيـدتي في لندن وقد عهدت لسيد غريب

مهمـة البحث عنـك والاستفســار فيما اذا كنت راغبة بالعناية بممتلكاتي وابنتي في أثناء سفرنا. أما قريبتي الوحيـدة الاخـرى فهي اختي (جـين) والتي هي كما تعلمــين كبــيرة السن وضعيفـة لا تتحمـل مثـل هذه المسؤولية اتمنى أن تكونا انت وبوني منسجمتين.

ثم وبصــوت مقتضب وكــلام موجز اخبرته بقصة فرشــاة الشعــر وجرة الماء تاركة هجومها الهادىء على المسكينة (باترن) وانفجر السيد ولوباي ضاحكاً

- هل حقــاً عملت ذلك ايتها الفتاة الشقية الماكرة؟ وقرص خد ابنته بلطف.

- الفتيات سيكنّ فتيات يا آنسة (سلفكارب) ويجب ان تفسحي مجــالاً للروح العــالية الطبيعية أن تسود ولبهجة حضورك أن تضفي على ابنة عمها اشراقاً سوف أطبـع في ذهنـك بمرور الزمن التصرف كسيدة في هذا العالم الوحشي.

وهنــا رفعت السيـدة (غرين) ذات الشعر الغامق والعينــين الحــزينتــين والتي كانت تبدو مريضة رفعت صوتها بحزن وسألت زوجها فيما اذا كان هناك صوت نقــر على الباب، ودعا بصبر نافد ادخل: فاذا به ناظر

المحطة وهو شخص اسود اللون ذو جسم قصير وضئيل حاملاً قبعته بيديه وقائلاً:

- ان القطار النازل يصفر يا سيادة المالك، قال حانياً رأسه تحية للشخصين الموجودين في الغرفة

- هل يسرك أن يقدم موعد القطار؟

- بالتأكيد بالتأكيد، قال السيد (ولوباي) ان ابنة اخي على متنه دعه يقدم بكل سرعة: كيف أتيت من المحطة يا رجل ماشياً اجعل الاوامر تصدر (لسولي) لاعادتك الى المصيدة مع حراس مناسبين بالطبع. ثم سيستطيع (سولي) الانتظار هنا واعادة الانسة (سيلفيا) في الوقت نفسه.

- «اوه. شكراً يا سيدي» قال الرجل بقلب مفعم بالشكر بارك الله بقلبك النبيل، كادت ان تؤلمني وتقضي علي تلك العشرة اميال وبهذا الجو السريع التجمد.

- «حسناً» قال السيد ولوباي بطيبة.

- لايجوز ان تموت (سيلفيا) من البرد في القطار فضلاً عن ان الذئاب قد تهاجمكم وقد يسبب ذلك البقاء في ان ننتظر الاشارة. هل تعدني بانك لن تفعل ذلك؟ حسناً. بوني. ماذا هناك يا آنسة؟

ـ «آوه يا بابا» قالت بوني متشبثة بارد انه هل استطيع أن اذهب مع (سولي) في المصيدة للقاء سيلفيا؟ هل استطيع؟

ـ قالت الآنسة سلفكارب:

ـ كلا، كلا، لا اسمح بالتساهل مع طفلة تصرفت بمثل ما تصرفت به انت اليوم.

فقال السيد (ولوباي) بصورة طبيعية تعالي يا آنسة سلفكارب تعالي يامدام تعالي انت يا ذات الدم الفتيّ، انك تعلمين ذلك، والى جانب ذلك فان (بوني) جيدة بالتسديد وصيد الذئاب كأي صياد آخر

ـ هيا بسرعة اذن يا آنسة ولكن تذكري ان تدثري نفسك جيداً انك ستكونين لمدة ساعات طويلة في الشارع.

ـ اوه، شكراً يا ابتي، شكراً الى اللقاء يا امي العزيزة، الى اللقاء يا آنسة سلفكارب وقبلت والديها بود وركضت في الغرفة للبحث عن قبعتها ومعطفها.

وعقبت المربية بعد خروج (بوني) وبنظرة حقد "تساهل مهمل واحمق؟"

ـ ولكن ها، أوضح السيد ولوباي متذكراً وجود الآنسة سلفكارب بصوتها على الرغم من فقدان الاحساس بكلماتها «اذا ما كان القطار قد اعطى اشارته الان كيف وصلت اذن يا سيدتي؟»

ولاول مرة بدا الارتباك واضحاً على المربية. فاجابت بعد وقفة في التفكير «اوه. اعني كان صديق لي يأتي من بلسترن وقد عرض علي ان يأتي الى هنا؟»

ودق جرس الشقة في ذلك الوقت. فقال السيد ولوباي ناظراً الى ساعته الذهبية في معطفه الثمين.

ـ انه جرس تغيير الملابس. انا اقدر يا آنسة سلفكارب بانك متعبة من السفر وانك لاترغبين بالعشاء معنا. سوف يقدم لك العشاء في غرفتك. وحتى رأسه بايماءة خروج كريمة. ولم يكن أمام المربية سوى اطاعته.

الفصل الثاني

مرّ يومــان على هذه الأحداث، كان هناك منظر آخر يختلف تماماً عما يحدث في لندن، حيث كانت ابنة عم بوني (سيلفيا) تستعد وتتهيأ لرحلتها.

عاشت (سيلفيــا) البنت اليتيمة التي توفي والداها بسبب الحمى التي اصابتهما حينما كانت ما تزال طفلة صغيرة. فعاشت مع عمتها (جين) التي أصبحت الآن امراة عجوز ضعيفة البنية لاتقوى على تربيتها والعناية بها، مما دفعها ان تكتب للسيد (ولوباي) تقترح فيه ان

يرعى البنت الصغيرة فوافق فوراً على هذا المقترح حبا (بسيلفيا) بالطبع، فهو يعلم انها فتاة رقيقة المشاعر، وان جو الريف سيجعلها اكثر حيوية ونشاطاً، كما رحب بالفكرة لترافق ابنته العنيدة المتمردة (بوني). وكانت العمة (جين وسيلفيا) تعيشان في غرفة بسيطة اعلى الدار الذي كان في (بارك لين) والذي تراه العمة (جين) الشارع الوحيد اللائق للعيش فيه. ولسوء الحظ كانت العمة فقيرة لا تستطيع تأجير أي منزل في مثل هذه المنطقة الراقية ولذا كان باستطاعتها ان تسكن في مكان بسيط صغير فقط، لقد كانت الغرفة مقسمة الى نصفين بستارة من القصب الصيني بيضاء اللون، جميلة لكنها قديمة. وكانت كل من (العمة وسيلفيا) تنام في جزء خاص بها من الغرفة في الليل، العمة على الديوان (وسيلفيا) على السرير العثماني وفي النهار كانت الستارة تزاح وتعلق بصورة انيقة على الحائط.

اما طبخ الطعام فكان مكانه على الطباخ الغازي الصغير، وكان الاستحمام في قدر صيني كبير مغطى بسجادة جميلة مطبوع عليها صورة تنين وهي من بقايا إرث العمة (جين). وفي بعض الاحيان كانت هذه

السجادة توضع على المائدة قرب الباب وتستعمل للضيوف.

وحـين تجلس العمـة وابنـة اخيها لخياطة ملابس سيلفيا كانت دموع غزيرة تنهمر على خدي العمة (جين) عنـدمـا اخذت الستارة البيضاء والتي هي بها حاجة ماسة اليها لتخيطها فستاناً (لسيلفيا).

ولحسن الحظ كان قماش الستارة كافياً لان يكون معاطف وقمصاناً وسراويل وفساتين وحتى قبعة صغيرة للفتاة ومسحت العمة (جين) دموعها بقطعة صغيرة منه وقالت:

- احب ان أرى ابنتي الصغيرة وقد ارتدت الابيض فقط.. اجابتها (سيلفيا) فقد كرهت أن ترى عمتها حزينة:

- كنت آمل ان لا تكوني مضطرة لتقطيع ستارتك يا عمتي. فحين سيكون عمري (٣٥) سنة واستطيع توفير مبلغ من المال سوف اشتري لك ستارة صينية بيضاء جديدة بدلها.

- ها هي ملاكي الصغـير.. أجابت العمة محتضنة (سيليفا) بين ذراعيها...

ـ ولكنك حين تكونين في الخامسة والثلاثين سيكون عمـري مئة وثلاث سنوات. قالت العمة ذلك وقد عادت لعمل طيات المعطف بآلاف الغرزات الصغيرة. فتنهدت (سيلفيا) وحنت رأسها ذا الشعر الذهبي على القماش وبـدأت تخيـط غرزات متساوية وصغيرة كانت مكتئبة قليــلاً على الرغـم من عدم قدرتهــا على قول ذلك «ان لاتــرتــدي سوى الملابس البيض» خصوصاً امام ابنة عمها (بوني) التي لديها كل ما تريده وتراه لطيفاً وجميلاً.

ـ الآن دعيني أفكر.. قالت العمة (جين) وهي تخيط بسرعة مثل البرق.

ـ ما الذي نستطيع عمله لك كعباءة مناسبة للرحلات وتـوقفت برهــة وبـدأت تجيـل نظرها في أرجاء الغرفة تتفحص قطع الاثاث البيض واغطية الكراسي والسجادة الخفيفة الفارسية قرب الطباخ الغازي في المطبخ. وكانت ستائر الشبابيك رثة لا يمكن استعمالها، وعلى اية حال يجب ان تكون هناك ستائر على الشبابيك. واخيراً اهتدت الى أمـر... لملمت الشال الاخضر القديم المصنوع من القـطيفـة والذي كانتـا تستعملانه كغطاء اضافي حين يعضهما البرد القارس فينامان معاً في الفراش العثماني.

ـ استطيع ان استعمل غطائي المزركش عوضا عنه.

قالت العمة جين. تطمئن (سيلفيا) «مع ذلك فالشخص الواحد يقرسه البرد اكثر وأشد من الشخصين».

وفي صبيحة يوم السفر انتهت خياطة جميع الملابس الا أحذية (سيلفيا) حيث لم تستطيعا عمل أي شيء لها. لانها كانت تالفة. ولكن العمة (جين) صبغتها بالدهان الاسود ولمعتها بمزج زيت الشمع مع السخام المنبعث من الدخان اما قبعتها فقد زينتها وعملت زركشة من ريش النعام الابيض والذي حملته عمتها في صالة الاستقبال

وبعد أن انتهى كل شيء حزمت امتعة (سيلفيا) في حقيبة من القماش الثقيل. وقد عملت لها عمتها كمية من القطع المحشوة بالطعام اللذيذ للسفرة. ثم وجهت اليها بعض التوصيات والتحفظات في عدم تناولها اذا ما كان هناك أي شخص غريب في العربة مراعاة للمبدأ القائل: لايجوز للسيدات ابداً الاكل علناً.. انهما لم تستطيعا تأجير عربة خاصة لنقلهما الى المحطة لفقرهما وكانت العمة (جين) ترفض الذهاب بسيارات الاجرة العمومية دائماً، لذلك سارتا على أقدامهما حاملتين امتعتهما

وحقائبهما. ولحسن الحظ لم تكن المحطة بعيدة عنهما كما لم تكن الامتعة ثقيلة بحيث تتعبهما وأمنت العمة (جـين) كرسيـاً بزاوية قريبة لابنة اخيها ووضعتها في رعاية الحارس. وقالت العمة (جين) وهي تقبل (سيلفيا) وتتفحص أرجاء العربة القديمة.

ـ والآن تذكري يا طفلتي العزيزة: لاتتحدثين ابداً مع الغرباء واشيري الى الخدم فوراً اذا احتجت الى شيء. وقد أخذت كل النقود (ربع بنس) من حقيبتي اليدوية ووضعتها في بطن حقيبتك. ولا تكشفي نفسك امام ابنة عمـك (بـوني) مع أنها طفلة مؤدبة ولكنها تكون وقحة احياناً، بلّغي تحياتي الطيبة الى اخي العزيز واخبريه بأنني في اوج صحتي وبكامل قواي. واذا ما تكلم معك اي شخص من غير الخدم فاطلقي صفارة الاتصال.

ـ نعم يا عمتي. أجابت (سيلفيا) منصتة اليها بانتباه ومحتضنـة ايـاهـا وشعرت بغصة في حلقها حين رأت شخصاً مسناً كبيراً ضعيفاً يكافح من خلال زحمة الناس وتساءلت كيف ستتمكن عمتها (جين) في تلك الليلة البقاء من دون ابنة اخيها الصغيرة لتعدل لها الاوراق المطوية

والمتجعـدة والقراءة بصوت عالٍ صفحة في قاموس د. جونس؟ وتصـاعدت مخاوف (سيلفيا) حين دخل رجل غريب الى العربة وجلس فيها. الا انه لم يتكلم ولم ينبس ببنت شفة ولم يلتفت اليها. وبعد ذلك بدأ القطار يطلق صفارته معلناً بدء الرحلة. وتحول فكرها الى مزاج أقل عمقـاً وتـأثـراً حين بدأت بالتفـرج على البيـوت غير الاعتيادية بشبابيكها المفتوحة المضيئة المعلقة في الهواء.

وكانت هذه الرحلة تستغرق وقتاً طويلاً قد يمتد الى ليلة ونهار وكانت ساعة الرحيل هي السادسة مساءً وقد عرفت (سيلفيا) انها لن تصل مكانها المحدد قبل الساعة الثامنة مساء اليوم التالي يا لها من غابات جميلة غريبة! يا لها من جبال ويا لها من مدن! انها مناظر من الريف الجميل تلك التي سيمرون بها.

حين يسـير القطار بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة فلن يكون بعيداً عن لندن حينئذ نظرت (سيلفيا) من شباك عربتها بشوق وهي تتفحص كل ما تراه حولها حتى تركت المنازل خلفها وأخذت تبتعد عن ناظريها حتى تلاشت. ثم التفتت الى قدميها وبدأت تتفرج على حذائها الملمع الذي صبغته عمتها بشكل جميل.

- إنني دائماً احمل بعض الاطعمة لي في الرحلات. وقد وضع صندوق الحلوى على المقعد المقابل لسيلفيا. واختار القطعة المغطاة بالسكر البنفسجي والمربى وعض قطعة منها. لكن سيلفيا نظرت الى الامام متجاهلة ما يعمل. وبعد ذلك أخذت تبتلع ريقها مخفية ذلك عن ناظريه. فقال الرجل:

- والآن يا عزيـزتي ما رايك في واحدة منها؟ فانا لا استطيع اكلها وحدي. أليس كذلك؟ توقفت سيلفيا وهي تنظر الى اشارة الانذار، لكنها كانت بعيدة. فقال لها رفيق رحلتها بأدب متتبعاً نظراتها التي استقرت كما يبدو على هذه الاشارة.

- هل اسحبها لكِ؟ لكن (سيلفيا) لم تجبه وهي تعلم بأنه من غير اللائق أن تتسلّق الكرسي وتقف على مسنده لسحب إشارة الانذار لذلك جلست وقد عضت شفتيها منفعلة وشعرت بارتياح حين وضع الرجل الغريب صندوقه بعد أن أكل ثلاث او اربع قطع اضافية ووضعه بسعادة في ثنايا معطفه ولف نفسه في عباءة من الفرو الغالي وانزوى في مقعده، وأغلق عينيه وبدأ يشخر على نحو منتظم وبصوت واطىء، فأتحاً فمه مقنعاً (سيلفيا)

بانـه نائم. وبـدأت سيلفيا بالتنفس بحرية. وبعد مدة اخـرجت من تحت معـطفهـا احدى ممتلكاتها الثمينة ووضعتهـا بين ذراعيهـا انها لعبتها المحبوبة (انابيل) المصنـوعـة من الخشب والتي لم تكن اكبر من شمعة صغيرة ذات ملابس بسيطة، لكنها كانت عزيزة غالية على (سيلفيـا). ولم تكن هنـاك اسرار بين (انابيل) وبينها. وكـانت تجـد سعادة كبيرة في رفقتها حين كان القطار ينطلق في الظلام الموحش.

بدأ النعاس يدب في رأسها فنامت لبرهة قصيرة وكان الجو بارداً مما جعل قدميها باردتين كأنهما قطعتان من الجليـد. فجمعت نفسهـا ولفتهـا بعباءة خضراء وهي تحسد زميلها المغطى بالفراء ومتمنية أن يكون تصرفها تصرف سيـدة محتـرمـة في جمع قدميها تحت المقعد. ولسوء الحظ كانت تعرف ذلك، كانت تحلم من دون أن تنام بالبحار الشمالية والقنوات وسفوح التلال الكبيرة المغطاة بالثلج، وكان رفيق رحلتها يبدو وقد نما له ذنب وقـرون يقـدم لها قطعاً كبيرة من الكعك بحجم البيانو وبلون قرمـزي احمـر وازرق واخضر. وحـين تذوقتهـا وجدتها مصنوعة من الجليد استيقظت من حلمها هذا

وهذه النظرة ذكرتها بعمتها العجوز، وكان ذلك اكثر مما تطيقه الصغيرة (سيلفيا) فبدأت الدموع تنهمر على خديها وحاولت أن تمسحها بمنديلها الصغير ذي الأنجين المصنوع من بقايا الستائر البيض ولكن فجأة سمعت صوتاً غريباً يرن في اذنيها.

ـ هه: ان البكاء لا يجدي... والتفتت بحذر لترى الرجل الجالس في نهاية العربة وقد تحرك متقدماً نحوها ومحملقاً في وجهها. مسحت (سيلفيا) عينيها مسحة رقيقة وأدارت رأسها بغطرسة فرأت صورتها وقد انعكست على زجاج الشباك المظلم، وتسارعت ضربات قلبها: ماذا عليها ان تفعل؟ آه فلتسحب اشارة الانذار كما أوصتها عمتها... واسترقت نظرة حذرة الى صورة الرجل المنعكسة على زجاجة الشباك ورأته ما يزال واقفاً هناك وبدأ يخرج شيئاً جلدياً من معطفه. ثم استدار نحوها حاملاً شيئاً. فاستدارت بنظرها الى هذا الشيء لترى صندوقاً من الحلوى بطول قدم وعمق ٦ انجات ملفوفاً بأشرطة بنفسجية. أجابت (سيلفيا) بكل ما استطاعت طاقتها من تمثيل نسائي:ـ كلا شكراً انا لا أحب الشكولاته... قالت ذلك وهي تبتلع ريقها سريعاً

عدة مرات وعلى الرغم من تناولها الشاي مع قطعتين من القطائر المحشوة بالزبد والمربى والكراميلا مع عمتها قبل بدء الرحلة. ان ذلك قد جعلها تستغني عن كل ما يقدم اليها من طعام أو حلوى من الغرباء.

ثم فتحت حقيبتها متشاغلة وكان الرجل ما يزال واقفاً امامها وقد هزت راسها مرة اخرى مظهرة له بانها بعيدة عن الموضوع.

- هيا خذي... قال الرجل بلطف.. كل الفتيات الصغيرات يحببن اكل الحلوى كما أعلم. فقالت (سيلفيا) ببرود:

- أرجوك يا سيد، اذا تكلمت معي مرة اخرى فستضطرني الى سحب اشارة الانذار. ثم تنهد وأزاح الصندوق جانباً وكان ارتياحها لهذا الموقف سابقاً لأوانه. حيث استدار في اللحظة التالية ومعه الحلواني حاملاً صندوقاً من الورق المقوى يحتوي على قطع متنوعة من الفطائر اللذيذة (المحشاة بالمربى - وبالليمون وبالجبن وعدد كبير من الحلويات المجمدة من مختلف الألوان والاشكال الجذابة) فقال الرجل بصوت خفيض كأنما يكلم نفسه:

لتجد القطار قد توقف فجأة.

ـ آه: ما هذا؟ أين نحن؟ واستمرت بتوجيه تساؤلاتها. فقال رفيقها:

ـ لاتقلقي نفسك يا آنسة. ان الذئاب تعترض خط السكة وقد تسبب مشاكل مستمرة من هذا النوع.

ـ وحملقت (سيلفيا) بوجهه بخوف وهلع ـ ذئاب!؟

لكنه أضاف يطمئنها انها لا تستطيع دخول القطار. فقبل سنتين اثنتين، استطاعت الذئاب تسلق عربة الحارس وأكلت خنزيراً. ومرة دخلت الى عربة سائق القاطرة ومرة أخرى هجمت على قاطرة الراحة لكنها عادة لا تأكل المسافرين أعدك بذلك يا آنسة.

ولكن ما حدث كان عكس ما حدث لها. اذ أن الذئاب كانت تعوي عواءاً حزيناً بشعاً من خلف الشباك. وضغطت سيلفيا زجاج الشباك المظلم فرأت الذئاب تمر خلال المنطقة الجليدية التي تغطي الأرض. وعبر هذه السجادة البيضاء الممتدة أمامها استطاعت ان تميز احد الذئاب الذي كان يرتفع صوت عوائه بين حين وحين وهي ترتعد خوفاً وفرحاً وقد امسكت يداها المرتجفتان بلعبتها الحبيبة (انابيل).

وبعد مدة وجيزة استجمعت قواها فهمست :ـ لماذا لا يسير القطار فاجاب الرجل ببرود :ـ أتوقع وجود العدد من الذئاب على خط السكة امامها. ولا تستطيع القاطرة دفع هذه الذئاب وقد تتأخر وسنكون بعدها بحالة سيئة يرثى لها. كلا انني أتوقع بقاءنا هنا حتى الصباح. فان الذئاب تخاف وسنذهب بعدها الى المدينة. واهم شيء ان الذئب لا يستطيع افتراس سائق الماكنة. فانه سيبعد الذئاب برمي قطع من الفحم المشتعل عليها.

ـ اوه.. صرخت (سيلفيا) برعب شديد حين اصطدم جسم كبير بالشباك. وخيل اليها ان رأساً رمادياً كبيراً بفكين كبيرين احمرين وعينين صفراوين يتطاير منهما الشرر. وطمأنها رفيقها قائلاً :ـ لا تقلقي لذلك سوف تبقى الذئاب هكذا معلقة على الشباك لمدة ساعات وبهذا ليس هناك خطر. وانما الخطر يحصل اذا كانت على هيئة مجموعات. لكن سيلفيا لم ترتح لهذا التفسير. فتحركت الى وسط المقعد وجمعت نفسها وهي تحدق بخوف مرة الى الى هذا الجانب ومرة الى الجانب الآخر. ويبدو ان الهجوم التالي لم يزعج الرجل. فأخذ قبضة من العطوس

مشيراً الى ان ذلك سيكون ضجة كبيرة وغطى راسه وعاد الى النوم مرة أخرى وبدأ شخيره يعلو حين حدث شيء غير متوقع. لم يصمد الشباك المحكم على نحو غير دقيق ازاء الهجمات المستمرة من الحيوانات المتجمدة من البرد، فانزلق مفتاح الشباك ثم انفتح وتهشم زجاجه الى قطع متناثرة فصرخت (سيلفيا) واندفع ذئب شرس من فتحة الشباك وقفز نحو الرجل النائم الذي فزع من نومه ورمى عباءته على الحيوان ثم أخذ قطعة من الزجاج المهشم المرمي على الارض وقذف به الحيوان المغطى بالعباءة فمات فوراً.

- إيه! تنفس رفيق (سيلفيا) بعمق ماسحاً راسه ووجهه ومضيفاً.

- لقد كان ما جرى مفاجئاً واخرج الذئب المقتول من تحت الغطاء ورماه ببعض الجهد من خارج النافذة المكسورة لقد خرق السكون صراخ وعواء الذئاب خارج القطار فذعرت من منظر رفيقها المقتول. ورأت رفاقه يتراكضون بعيداً فوق الجليد. فقال الرجل:

- تعالي! اصبح هذا المكان خطراً.. فالافضل ان ننسحب الى الخلف.

ـ ننسحب؟ تساءلت سيلفيا بصوت مرتجف.

ـ نعم الى عربة أخرى. فنحن لا نستطيع البقاء في هذه العـربة لشدة البرد اولاً. ولأن الذئاب تعوي طيلة الوقت هراء أن نبقى هنـا... فقد آن الأوان لاستبدال المكـان. كانت تنتـاب (سيلفيـا) مشاعر مختلفة فتارة تنتابها المخاوف لمرافقتها الرجل. وتارة تطمئن الى رفقته. لكنها اخيراً رأت واطمأنت الى استبدال العربة. وراقبته بحذر حين فتح الباب والتفتت يميناً ويساراً. وقال لها وقد جهز حقائبها استعداداً للحركة:

ـ حسناً هل لك ان تناوليني الحقيبتين؟ فاعطته ما اراد وشق طريقـه جانبـاً حامـلاً الحقائب بيد واحدة وابتداءاً من أول موقف العربة وحتى باب العربة الثانية التي قد فتح بابها وقذف الامتعة فيها. وعاد الى عباءته وسجـادتـه، واخيراً عاد مرة اخرى ومد يده نحوها في محاولة لتخليصها:

ـ تعالي ان شئت يا عزيزتي كي لا تكوني لقمة سائغة للذئاب.

وسمحت له (سيلفيـا) في مسـاعـدتها خلال الممر الضيق والى العـربة الثانية كانت تشعر براحة وعرفان

بالجميل حين سمعتـه يغلق الباب ويتأكد من احكام اغلاق النوافذ ثم قال لها مبتسماً ملء فمه:

ـ والآن نستطيع أن نتنفس الصعداء. وقد لف نفسه مرة اخرى بعباءته مهملاً بقع الدم التي علقت بالقماش واغلق عينيه وراح في سبات عميق. كانت (سيلفيا) تشعر بالبرد القارس وخائفة من النوم فجلست في وسط المقعد كما فعلت سابقاً وهي ترتجف برداً وخوفاً متوقعة سماع عواء الذئاب وهجماتها في أي وقت على الشباك.

ـ هيه اننا لا نستطيع ان نستمر هكذا.. قال صوت باستنكار. فالتفتت لترى الرجل مستيقظاً مرة اخرى وهو ينظر اليها متفحصاً.

ـ الا تشعـرين بالدفـء يا آنسة؟ هاك.. وحين رآها تجفل من عباءته خلع معطف الرحلة الدافىء واصر على لفهـا به. ولأنهـا كانت خائفة وترتجف برداً لم تستطع (سيلفيا) مقاومته. ثم قال:

ـ ارفعي قدميك الى الاعلى واستلقي هكذا... والآن اغلقي عينيك فليس هناك ذئاب اخرى اذ انها مهزومة وخـائفة وكان آخر شيء ميزته واحست به هو سماعها شخير الرجل مرة اخرى.

الفصل الثالث

حين استيقـظت (سيلفيا) كان الوقت صباحاً وكان القـطار يعـدو ويتسلق المنـطقة الجبلية الجميلة حيث انتشرت الاشجـار هنـا وهناك وقد استيقظ رفيقها وهو يمضـغ مجمـوعـة من قطع اللحم البـارد.. وشعـرت (سيلفيـا) بانهـا جائعـة جداً. فتذكرت نصيحة عمتها (جـين) بان لا تأكل امام الغرباء. ولكن العمة لم تكن تنـوي ابقـاءها تتضور جوعاً ليلة كاملة من دون اكل بعض المرطبات. والاكثر من ذلك فان روح العمة (جين)

الطيبـة لم تكن تتوقع حدوث اخطاء كبيرة... تلك التي تواجـه ابنـة اخيهـا.. اخطار تركت (سيلفيا) ضعيفة بحيث توقعت بأنها لن تصل الى مصيدة (ولوباي) حَية ما لم تستـطع ان تفتح صندوقها الصغير وتخرج منه بعض محتوياته لتقوى على الاستمرار فمن المحتمل، فكرت (سيلفيا) أن تكون المغامرة المشتركة مع الذئاب قد شكلت تواصلاً لبعض الود مع رفيقها وظلت تفكر ملياً بهذا الشأن ثم استجابت لشهيتها القوية في تناول بعض الطعـام بعد أن ألقت نظرة على الرجل الغريب ففتحت حقيبتها اليدوية وأخذت من متاعها قطعة أو قطعتين من القطع الجافة التي زودتها بها عمتها تلك القطع الحاوية على قطعة لحم طرية رقيقة كقطعة ورقة وردية ثم اعادت البقيـة الى الحقيبـة لبقيـة اليـوم. وبعـد هذه الوجبة الصغيرة شعرت بالتحفظ امام الرجل. ولم تكن قلقة حين رأتـه قد أتى على نهاية قطعة من اللحم. وكان يبتسم لتصرفها فقال بتودد:

- «والآن نحن.. الاثنين. نشعر بالتحسن». فاجابت بود

- «كان ذلك لطفاً منك يا سيدي في اعارتك لي

المعطف».

- «لم اكن استطيع تحمل رؤيتك ترتجفين من البرد يا عزيـزتي اليس كذلك ليس بعد أن اظهرت مثل هذه الشجاعة والروح المعنوية القوية واللامبالاة من الذئاب فبامكاني القول بان بعض الفتيات كدن ان يبكين ويصرخن».

وتساءلت سيلفيا ناظرة بشغف نحو الشباك:

- «هل ستأتي مرة أخرى؟». وكان القطار ينطلق عبر سهول ثلجية تلتمع تحت شمس السماء الصافية.

- ليس قبـل هذا المســاء. فحــين نصل الى المكان، تستطيعين الحكم عليه وعندما ستلاقينا الذئاب لاداعي للقلق!» اخبرها الرجل ذلك الا ان (سيلفيا) بدت قلقة بسبب هذه العبارة:- «اوه ان الذئاب شرسة ومخيفة حقاً. فهي لاتؤذيك ما لم يكن عددها بنسبة ١٠ ـ ١. واذا ما شعرت بالقلق نحوها فسوف احضر مسدسي على الرغم من عدم استعمالي الكثير له.. إلا اذا دعت الحاجة».

ولفزع سيلفيا سحب لفة من القماش والتي كانت تستعملها لعقد الحبل واخرج منها مسدساً ازرق ثقيلاً، وفتــح حقيبــة اصغــر كان قد جلبها معه واخرج منها

خرطوشاً وحشر ما فيه في المسدس ثم التفت اليها وكانت قد أغمضت عينيها خوفاً وقلقاً وقال:

ـ «والآن يا عزيـزتي هل اثبت لك مهـارة رمـايتي؟ ها؟».. فاجابت سيلفيا

ـ «او كلا.. كلا.. يا سيدي ارجوك لا تقل هكذا... انا متأكدة من قدرتك في اصابة الهدف»

ـ «لايمكن ان تتـأكـدي ما لم تشـاهـدي بنفسك. فسنقضي الوقت معاً» ومن دون اي كلام فتح الشباك من جهـة واحدة من العربة. في حين كانت اصابعها تصم اذنيها. وضمت نفسها الى احدى زوايا الكرسي.

ـ «والآن ماذا هنـاك لنـطلق عليـه النـار؟ فنحن لا نستطيع أصابة خروف ولو انها ستكون نكتة نادرة ها ها ها.. هناك ارنب طاق طاق لقد اصبته، هل رايته يركض بعيداً؟» لكن سيلفيا لم تر شيئاً حيث كانت يداها فوق عينيهـا وقـد حشرت انفهـا في مفـرشة الكرسي المغطاة بالاحمر والاسود. «والآن هذا غراب المزرعة فهو يرفرف ببـطء... سوف انتـظر حتى نصـطاده هنـاك فيتعثـر ويتـدحـرج كالحجارة وسيتعجب الفلاح من أين جاء

هذا؟» ثم رمى طلقة او طلقتين وقال «لايجوز ان افقد كل الخراطيش. عليّ ان ابقي قسماً منها لصيد الذئاب. ماذا؟»

وأعاد المسدس الى مكانه منظفاً اياه بدقة قبل وضعه. وكانت العربة قد امتلأت بدخان ازرق كادت (سيلفيا) ان تختنق بسببه ثم قال:

- «لم اسألك فيما اذا كان لديك رغبة في ان تطلقي مرة او مرتين في المسدس لكنني توقعت ان يكون ثقيلاً عليك. فلو كان صغيراً لاعطيتك اياه». قالت (سيلفيا) خائفة لمجرد التفكير بحمله. «اتمنى ان لا احتاج اليه ابداً».

- «لكنك لا تعلمين متى تكونين محتاجة اليه يا عزيزتي. ان أمي تقول: على كل فتاة ان تعرف كيف تطبخ وتعزف على البيانو وتغني وتصوب بالمسدس» وفكرت سيلفيا بتقاليد وكياسة العمة (جين) التي تحتل بالنسبة للفتيات الصغيرات المكانة الاولى. تنظيف الزريبة والحياكة وعمل لعب ورقية وكلها لا تتفق مع ما يدعو اليه هذا الرجل. وكان التفكير بالعمة (جين) قد أعاد اليها الحزن والكآبة مرة اخرى. وتنهدت بعمق.. فسألها الرجل:

- «اين ذهبتِ بعيداً؟ هيا لنتعارف. فانا اسمي

«غـرمشـو... جوزيا غرمشو». لم تثق سيلفيا به كثيراً. ولكنهـا شعـرت بانها اذا لم تتكلم معه فسوف يضجر ويعود لاطلاق الخراطيش مرة اخرى من الشباك. وكان كل شيء لديها افضل من ذلك. وبهذا اخبرته باسمها وفي انهـا راحلة الى بيت عمهـا السيد (ولوباي غرين) وقد أبـدى الرجـل اهتمـاماً بذلك ـ آه صحيح لقد سمعت بالسيـد (ولوباي) اغنى رجل في خمسة اقاليم.. اليس كذلك» ولم تكـن (سـيلفيـا) تعلم بذلك فقـال لهـا:ـ «ستتمتعين بوقتك اليس كذلك؟ هل ستبقين هناك مدة طويلة؟»

ـ «اوه... نعم فان ابي وامي ميتان ويجب ان اعيش مع ابنة عمي (بوني)» فقال لها مؤيداً:ـ

ـ «وسيرعونك هناك عمك وعمتك». فاخبرته:

ـ «كلا ليس طويلاً. فان عمتي (صوفيا) ضعيفة جداً. وعلى عمي ان يأخذها في رحلة للجنوب من اجل صحتها. فسيرحلون بمجرد وصولي هناك» وان ابنة عمي (بوني) مسكينـة كم ستفتقدهما ولكننا ستكون لنا مربية هي احدى اقاربنا، وبالطبع سيكون هناك عدد من الخدم للعناية بنا، واتمنى ان تتحسن العمة (صوفيا) سريعاً

وتعود الينا الى انكلترا وقد ذكرت لنا العمة (جين) بانها جميلة وطيبة فأومأ الرجل مرة اخرى: مشيراً بأنه عرف ما تريد. وحل المساء عليهما بلونه الرمادي واعداً ببعض الثلوج. وكان القطار قد ترك السهول وهو الآن يسير نحو بلدة أعلى واسعة فارغة لاأثر لشيء حي فيها يمشي أو يدب خلال مساحاتها الواسعة المفتوحة، فكانت مهجورة. ارتجفت (سيلفيا) قليلاً مفكرة بطول الطريق الذي سيقطعانه قبل الوصول الى منطقة غير معروفة لديها. ومضى اليوم و (سيلفيا) تشعر بالراحة لنوم السيد (غرمشو) مرة اخرى. وبدأ شخيره يعلو فأخرجت لعبتها (انابيل) وجعلتها تنظر الى المناظر الطبيعية. وبدا (لسيلفيا) بأن اللعبة المسكينة قد جفلت وفزعت للمنظر الحزين الذي لم يكن عجيباً، لان عينيها المرسومتين لم تريا أي شيء أوسع من حديقة هايد بارك في صباح مشرق. وطمأنت سيلفيا لعبتها قائلة «حسناً يا انابيل سنصل هناك قريباً وستكون النار الدافئة والعديد من الاشياء الجميلة بانتظارنا. وأتوقع أن لبوني العديد من اللعب الصديقة لتلعبي معها. اتمنى ان لا تسخر من معطفك وملابسك القديمة» وشعرت (سيلفيا) ببعض

تأنيب الضمير لملابس اللعبة القديمة ولكن لم يبق أي جزء من الستائر البيض حين خاطتها العمة (جين) لها وقد عزت نفسها واللعبة بأحسن ما يمكن اذ بدأت تغني بعض الاغاني الهادئة وبصوت خفيض في حين كانت واثقة بأن صوت شخير السيد (غرمشو) هو أعلى من غنائها. وبعد مدة (أقبل الظلام وفزعت (سيلفيا) من المنظر في حين كان الوقت ما يزال غسقاً. فزعت من خيال الحيوانات التي كانت تتحرك من خلال الثلج. وسمعت مرة اخرى ذلك العواء الذي يفزع القلب من الذئاب وتساءلت في نفسها: هل توقظ السيد غرمشو

ولكن القطار استمر في سيره من دون آن يتباطأ والذئاب تروح وتجيء خلال ظلال الاشجار الا انها لا تقترب من الطريق.

لذلك اعتقدت في انه من الجبن ان توقظه ولأنه ليس هناك خطر فوري يستوجب ذلك ففضلت ان تتركه نائماً.

وحل الظلام تماماً وكانت رغبتها ملحة في أن تعرف الوقت آنذاك ولدى السيد (غرمشو) ساعة ذهبية كبيرة في معطفه ولكنها مغطاة ولم تكن تعلم هل ان رحلتها قد شارفت على النهاية. وكانت هي متهيئة منذ الصباح

البـاكر مع آخر قطعة طعام مما جعلها تطوي حقيبتها القماشية ووضعت (انابيل) تحت عباءتها مرة اخرى. وفجـأة توقف القـطار بعنف وزمجرت العجلات بشدة وانفتحت الشبابيك من أقفالها فصرخت (سيلفيا):ـ ماذا حدث؟ ماذا هناك؟... وقف السيد (غرمشو) على قدميه ووصل الى الاعلى وسحب معطفه من الرف.

ولكن في تلك اللحظة توقف القطار بصورة مفاجئة وقد اصـطدمت العـربـة بالعـربـات الاخرى واحدث ذلك ضجيجاً وصخباً. فسحب الرجل الحقيبة بقوة وسقطت على رأسه وتهشمت وتناثرت اجزاؤها فسقط الرجل من أثر الصدمة وترنح يميناً ويساراً لا يستطيع أن يمسك بشيء وسقط مغشياً عليه.

خافت (سيلفيـا) وجلست مدة دقيقتـين أو ثلاث ساكنـة ثم هرعت الى النـافذة التي فتحت اثناء توقف القطار الفجائي واخرجت رأسها منها لترى فيما اذا كان هنـاك أي شخص يمكن ان تنـاديه لنجدتها. وشعرت بارتيـاح كبير حين اكتشفت بانهم قد توقفوا في محطة الغابة الواقعة في الطريق. وكان مكانها في القطار في نهاية رصيف المحطة. ولم تكن مصابيح المحطة كافية لقراءة

اسم المحطة المكتوب على لوحة الاعلانات بسبب بعدها. ولكنها رأت مجموعة من الاشخاص حاملين المصابيح والمشاعل يقتربون من المحطة ويتفحصون كل عربة في القطار. ولم تتمكن من تمييزهم لكنها تصورت أن هناك حالة طارئة من تصرفاتهم حيث تجسدت بصرخات غير واضحة لدى سائق القاطرة. وكانت تنتشر من خلال الريح. فصرخت (سيلفيا) عندما اخرجت راسها من الشباك «.. النجدة.. النجدة ارجوكم ساعدوني» وهي تخشى من أن صرخاتها لم تكن مسموعة ولكن آخيراً استجاب احد الاشخاص لصرخاتها حيث سمعت صوتاً يجيبها ورأت شخصاً ينفصل عن المجموعة ليتقدم اليها قائلاً:ـ «(سيلفيا) هل هذه أنت» ولم يكن لسيلفيا الوقت الكافي لتمييز زوج من العينين اللامعتين والخدين الورديين والخصل السوداء المتهدلة من تحت قبعة الفرو الصغيرة.

ولقد داهم الرجل صائحاً يا آنسة بوني لا تذهبي بعيداً.. وكان حينئذ يفتح باب العربة ـ آنت الانسة سيلفيا؟ أليس كذلك؟ سنخرجك سريعاً من هنا.. قال الرجل مبتسماً ومحاولاً التعامل مع مفتاح الباب المتجمد

بقوة. في حين كانت (بوني) تعترض تقدمه ترقص، تقفز الى أعلى وأسفل مقبلة سيلفيا وهي تصيح:

- «مسكينــة يا عزيزتي سلفيا. انا متأكدة من انك جمدت من البرد، لا تقلقي فأنك ستشعرين بالدفء بعد مدة وجيــزة فلدينــا مدفــأة للاقــدام وكــذلك عدد من البطانيات في العربة. اوه كم سأحبك: كم سنلعب معاً» واستجـابت سلفيا بود لتلك العروض، ثم استوضحت بعجلة عن الرجل الذي فتح الباب، هناك رجل به حاجة الى المساعدة انا اعتقد بانه في غيبوبة ارجو ان نستطيع مساعدته. فقال الرجل:

لنلقِ نظرة عليـه يا آنســة، فاخرجي أنت مع بوني ودعي جيمس يأخذك الى العربة فان ذلك سيكون اسلم لك.

ولكن سيلفيا تعجبت وقالت بكل اهتمام «رجل متعب؟ به أذى؟» اوه يا للرجـل المسكـين يجب أن نساعده يا سولي الاجـدر بنـا ان نأخذه للبيت... وقد وصل بقية اعضاء المجموعة الآن. وكان هناك صخب ومناقشات.

- ماذا سنفعـل، لا نستـطيـع ترك الرجل المريض

مطروحـــاً هكذا في القطار، فـهناك ساعتان للوصـول الى بلاستبرن ولا يجوز ان يموت هنا من البرد»

ـ «حسناً، ماذا ستفعلون؟ قال رجل يبدو أنه ناظر المحــطة هيا اعملوا سريعاً والاستهاجمنا الذئاب... يا الهي انني اسمع عواءها الان، هيا فليس لدينا وقت نضيعه.»

ثم صدر صوت عميق من صفارة القاطرة مشيراً الى انه محق برأيه. فصرخت بوني :ـ اذن اخرجوه من هنا وضعـوه في العربة، فانا واثقة من ان أبي يتمنى ذلك. واتفق معها السيد جيمس وسولي وحملت حقائب السيد (غرمشو) للأمام مع حقيبة سلفيا النحاسية واغلق الباب وراءه. وقـد اضــاء الحــارس مصباحه الاخضر ونفث القطار دخانه ليمتزج مع الرياح اثناء انطلاقة القطار في الطريق الذي اخــذ يتقـدم ببـطء نحو الامام. وتأرجح الحارس متعلقاً بالقطار اثناء صفيره. وألقت (سيلفيا) نظرة الى الخلف في حين كانت (بوني) تسرع على رصيف المحطة ممسكة يدي سيلفيا وقد رأت خطاً من المصابيح تختفي خلف الاشجار واخذ صوت القطار بالابتعاد قليلاً قليلاً حتى اختفى وتلاشى. وكانت سلفيا تسمع صوت

الذئاب بقلق وخوف وفهمت بان بقية العربات قد مضت.

وتكون لديها شعور غريب عن بناية المحطة بمظلتها ذات الاهداب وبمقاعدها ذات اللون القرمزي. ثم وصلوا الى مكان العربة الصغيرة التي تجرها ستة خيول سود تصهل وتضرب الارض بأرجلها.

وصرخت (بوني):ـ «ساعده على التمدد على المقعد هنـا يا جيمس، والآن لف البـطانيـة حوله، هل جميع امتعته هنا يا رجل» «والآن أنت يا سلفيا، اصعدي لكن سلفيا الطيبة كانت متعبة جداً ترتجف بردا فلا يمكنها ان تقوم بمثل هذه العملية. فرفعها الخادم برفق ووضعها في المقعـد المقابل ثم لفها ببطانية رقيقة وجميلة ووضع قدميها على مدفأة القدم. وجلست بوني بقربها وقالت:

ـ «والآن تستـطيعين الرحيل وكذلك نحن. حقاً كان ذلك في وقته» وبعد أن صعد جيمس وسولي الى العربة ودخل موظفو المحطة الى المكتب كان هناك صراخ وعويل وقفز أول الذئاب في المجموعة الى رصيف المحطة. وكان هناك وميض ودوي يصم الاذان حين اطلق جيمس عياراً نارياً بينها وضربت سولي الخيول بالسوط في حين لم تكن بها حاجة الى ذلك. وبدت العربة كأنها تضرب الارض

منـطلقة بسرعة جنونية وتركت خلفها مصابيح البناية. كانت الثلوج تتساقط ببطء. وكان تقدمهم هادئاً وبطيئاً حين ساروا على الارض المكسوة بالثلج وحافظوا على سير الخيـول وكـانت صرخـات الذئـاب مستمـرة خلفهم. واستفسرت سلفيا «هل سيكون اولئك الرجال في المحطة بخـير وما مصيرهم» وطمأنتها بوني قائلة «نعم فلديهم الكثير من الاعتدة ونحن نزودهم بها كلما اتينا، وكذلك الأمر بالنسبة للطعام، كما ان الذئاب لا يمكنها ان تدخل العربة، المشكلة فقط حين يتوقف القطار وينزل الركاب منه، ولكن أخبريني عن هذا الرجل المسكين.. «ماذا حل به؟ هل كان مريضاً؟» فاجابت سيلفيا:

ـ «كلا، لقد سقطت حقائبه عليه واغمي عليه» عندما توقف القطار فجأة .

ـ «نعم، ان سواق القطار يعمدون الى ذلك دائماً.. لأن الذئاب اذا ما رأت القطار بطيئاً في سيره فأنها تتأهب فوراً وتبدأ بالركض نحو المحطة حتى تكون هناك حين ينـزل الركـاب، واذا ما صادف ان يتوقف القطار فان السـائق يستمر بأسرع ما يمكنه حتى اللحظة الاخيرة وذلك لخداع الذئاب في انه سيستمر بالسير للأمام. ولكن

الآن اخبـريني عن نفسـك» قالت بوني وهي تحتضن سلفيا متأكدة بانها ملتفة جيداً بالبطانية: «وهل كانت الرحلة سعيـدة... وهـل أنت جائعـة هل أنت عطشى» فاجـابت سلفيـا «اوه، كلا... شكراً. كانت معي بعض الفطائر في القطار... كانت الرحلة سعيدة وقد قفز ذئب الى العربة ليلة أمس. ولكن السيد (غومشو) ذلك الرجل قتله وتحـولنا الى عربة اخرى». وقالت بوني معلقة على ذلك الحدث: «هل هو صديق لك؟» فاجابت سلفيا:- «كلا لم أره من قبل. وبالحقيقة فانا لم اعجب به في البداية فقد كان يبدو غريب الاطوار على الرغم من ان مقصده كان طيباً. وسكتت الطفلة لحظة أو لحظتين حين كانت العربة تسير في طريقها وارتاحت الى الدفء الذي بعثته البطانية الرقيقة المدهشة الى سيلفيا كما ان مدفأة القدم جعلت قدميها المتجمدتين دافئتين.

ولكن اجمـل من كل شيء كانت تضغط يدي بوني الصديقة وتستجيب بود لبشاشة ابتسامتها الرقيقة كما استدارت بين حين وحين لترى ابنة عمها. فقالت:- « لا استطيع ان اصدق انك هنا حقاً..... واتساءل: من منا أطول من الاخرى؟ كم سنتمتع بالوقت معاً؟... اوه، فانا

لا استــطيــع ان انتــظر لاريـك كل شيء... المهر الذي اشتراه لك والدي.. لا ادري ان كنت لا تعرفين ركوبه.. وبيت الزهــور الدافء ومجمـوعـاتي والكلاب المطاردة للذئاب، سنلعب كثيراً وفي الصيف نستطيع الذهاب الى نزهــة في السهول ومع المهر اذا لم يكن على امي وأبي الذهــاب الى هنــاك فسيكـون ذلك كاملاً وجميلاً جداً. وتنهدت بعد ذلك، وقالت سلفيا وهي تمسك بيد ابنة عمها:

- «مــســكينــة أنتِ يا بوني، ربمــا لا يطول ذلك» واستلمت ضغطاً شاكراً من يدي بوني. ثم سكتتا بعد ذلك تستمعان الى طقطقة العجلات واصطدامها بالثلوج وصرخات قطيع الذئاب وقد أصبحت الآن أضعف من ذي قبل حيث تخلفت بعيداً عنهم.

كان هناك شيء من السحر في رحلتهم هذه ستبقى تتذكرها (سلفيا) طيلة حياتها... الظلام.. الجو المعطر برائحــة الثلج. وهــو يصفر باستمرار خلفهم والسهول المنبسطة امامهم والغابة تميل الى كل الاتجاهات للأمام وللخلف وأصــوات وصخب الخيـول وصهيلهـا وراحة العـربة وفوق كل ذلك واجمله ترحيب بوني بحضورها

وجلوسها الى جانبها. وبعد مدة من الزمن تساءلت بوني قائلة: «كيف حال ذلك الرجل المسكين؟ ماذا قلت اسمه؟» اجابتها: «السيد غرمشو».

وانحنت بوني عليه وربتت على يده برفق وقالت: «سيد غرمشو.. سيد غرمشو هل تشعر بالتحسن؟» ولكن السيد غرمشو لم يجب فقالت: «بالتأكيد ما يزال غير واعٍ... كنت اتمنى لو كان لدينا بعض المنشطات لاعطائه شيئاً منها.. ومع ذلك سنكون في البيت بعد ساعةٍ ان (باترن) والسيدة (شمبكن) تعرفان ما الذي ينبغي فعله. ان باترن هي وصيفتي هي عزيزة علي، والسيدة شمبكن هي مديرة المنزل.»

وبعد مدة بدأ رأس سلفيا يترنح ويميل نعاساً وانغلقت عيناها على الرغم من كل الجهود التي تبذلها لابقائها مفتوحتين، لكنها كانت اكثر من نعسانة فقط حين توقفت العربة محدثة جلجلة صاخبة وعلا نباح الكلاب والصيحات الترحيبية فنظرت خلال النافذة فرأت واجهة مبنى مصيدة ولوباي الكبير اللامع الوردي

اللون، وكل نافذة من نوافذه الذهبية تلمع مرحبة بالضيوف فهاهم قد وصلوا. ولم تنتظر بوني جيمس حتى يفتح لها الباب، بل فتحته في لحظة وقفزت الى الثلج و التفتت لتساعد ابنة عمها بعناية كبيرة. وكانت سلفيا متعبة من الرحلة وحين قادتها بوني برفق الى السلم المائل ثم الى الصالة كان انطباع سلفيا مبهماً لكثرة الانوار المضاءة والمدافىء الكثيرة والكبيرة وللناس الداخلين والخارجين. رمسّ اذنها صوت حنون صوت (باترن) الوصيفة وهي تقول «يا للطفلة العزيزة! انها مرهقة جداً.. احملها يا جيمس الى الطابق الاعلى وانا سأسأل السيدة (شمبكن) عن اعداد الحساء الساخن.» ها قد جاء الحساء الساخن اللذيذ يتصاعد منه البخار. وكانت يدا باترن الرقيقتان تخلعان عن سلفيا معطفها في حين غلبها النعاس الثقيل بحيث صارت سلفيا لا تستطيع ان تميز الاشياء المحيطة بها، ووضعت في فراشها الوثير وتحت بطانيات رقيقة، وراحت مستغرقة في نوم عميق.

وفي منتصف الليل افاقت من نومها فرات النجوم متلالئة من خلف الستائر البيض المسدلة قرب حافة فراشها. فتذكرت صوت عمتها جين وهي تدرسها الفلك

قائلة.

- «ها هو نجم اوريون يا عزيزتي سلفيا. اما مجموعة الكـواكب هذه التي على شكـل W فهي مجمـوعة ذات الكرسي» «آه مسكينة يا عمة جين، فكرت سلفيا.. هل هي الاخـرى مستيقـظة الآن تتفرج على النجوم؟ هل هي ملتفة بالعباءة تطلب الدفء والراحة؟ ماذا تفعل في وقت الفـطور من دون ابنـة اخ تساعدها في اعداد الشاي الساخن وعمل الفطائر اللذيذة؟

وبـدأت الدمـوع تنهمر على خدي سلفيا وسحبت نفساً عميقاً طويلاً وهي تحاول ان تكتم صوت بكائها. وبعد لحظة سمعت خطوات خفيفة على السجادة وطوقت عنقها ذراعان، صغيرتان، رشيقتان، والتصق خد بوني على خديها المبللين ماذا بك يا عزيزتي سلفيا؟ هل اصبت بالحنين الى البيت؟ هل آتي الى جنبك فاندس في الفراش معك؟ وكانت سلفيا توشك ان تفصح عن مخاوفها تجاه عمتها (جيْن)، لكنها ادركت انه لا يجوز ذلك، وان كرامة العمـة جين لا تسمـح لهـا بقبول مساعدة من اخيها. وكـذلك فان على (سليفيـا) ان لا تظهـر نفسها وحيدة وفقيرة. ولكن كيف تجد طريقة لمساعدة عمتها يجب ان

تجد.. يجب وهمست (بوني) في اذنها لاتبكي يا عزيزتي هذا هو منزلك الآن ـ ونحن سنتمتع بوقتنا ـ كثيراً... انا متـأكدة من ان باستطاعتي أن اسعدك.» واحتضنتها مرة اخرى ودخلت فراش سلفيا مرة اخرى وبدأت تسرد عليها الخطط والبرامج التي اعدتها للتزحلق وقطف ازهار الربيع والاستجمام في الحقول الجميلة صيفاً. وفرحت سلفيـا بتلك الصـور السعيدة. وبعد مدة وجيزة كانت الطفلتان تغطان في نوم عميق برأسيهما الاسود الفاحم والاشقر الجميل جمعتهما مخدة واحدة.

الفصل الرابع

وفي صباح اليوم التالي، أفطرت الفتاتان معاً في غرفة الحضانة التي كانت ذات جدران رمادية اللون وتدخلها شمس الصباح لتنعكس بأشعة فضية وذهبية على مصابيح الغرفة.

وكان يبدو بان الانسة (سلفكارب) تأكل فطورها في غرفتها وسعدت سليفيا لذلك. فبعد ان تناولت الطعام وحين شاهدت المربية وجدتها سيدة مخيفة وصارمة. وكانت العمة جين قد ربّت سليفيا وعلمتها جيداً ووجدت

نفسها تحسن التصرف اكثر من بوني. «يجب ان تعملي يا آنسة يجب ان تعملي اكثر لتصلي الى ما وصلت اليه ابنة عمك». قالت الآنسة سلفكارب بحدة. « انا سعيدة بما انا فيه. وأود ان اعمل ما بوسعي» قالت وهي تحتضن سلِفيا «وانا سعيدة لذكائك وسندرس كل الاشياء المسلية معاً، النبات، واللغة الاغريقية وكيف تستعمل الكرة الارضية»

ولم تأخذا العديد من الدروس في ذلك الصباح، فقد كانتا منحنيتين على السبورات في حين كانت (سلفكارب) تقرأ لهما فصلاً من التاريخ المصري وكان من المفروض ان يغادر السيد ولوباي والسيدة غرين في ظهر ذلك اليوم، وكان يود ان يوجه الآنسة سلفكارب للعديد من الامور التي تخص ادارة المنطقة والمنزل، والتي ستكون هي المسؤولة عنها، أثناء غيابه. «هيا لنذهب ونرى كيف حال السيد غرمشو هذا الصباح» اقترحت بوني «كنت آمل ان آخذك لابي وامي، لكن الانسة سلفكارب الآن معهما، سننتظر حتى تعود». وركضتا الى المكان الذي كان الرجل المسكين قد وضع فيه. ووجدتا عنده الطبيب العجوز (د. مورن) وهو يفحص المريض، ويسأل

السيدة شمبكن مديرة المنزل وركضتا نحو الطبيب الذي ربّت على رأسيهما «انها حالة غير اعتيادية» قال مخاطبا السيدة شمبكن «لقد أفاق الرجل من غيبوبة لكنه يبدو قد اصابه النسيان فهو لا يعرف اسمه أو عنوانه أو من هو. وقد أمرت له ببعض الادوية. ويجب ان يبقى هادئاً في الفراش حتى تعود له ذاكرته». «ربما اذا ما رأى سليفيا سيتذكر رحلة القطار» قالت بوني «لقد أخبرك باسمه اليس كذلك يا سليفيا» «نعم ـ السيد غرمشو ـ جوزيه غرمشو» «ان ذلك يستحق المحاكمة» قال الطبيب. ثم حضر أحد الخدم ليخبره بأن السيد ولوباي ينتظره في المكتبة. لذلك خرج الطبيب في حين دخلت الفتاتان الى غرفة السيد غرمشو. وكانت دهشتهما عظيمة حين راتا السيد غرمشو خارج فراشه واقفاً قرب المدفأة مرتدياً روباً قرمزياً والأدهى من ذلك انه كان يمزق بعض الاوراق ويرميها في المدفأة. وكانت الغرفة قد امتلأت بالدخان الازرق. وتنبه لوجود الفتاتين فارتبك وأسرع فاغلق علبة صغيرة كانت بين يديه واسرع نحو الفراش.

ـ «ما الذي تفعلانه هنا؟ من انتما؟

ـ الا تذكر (سليفيا) يا سيد غرمشو؟» قالت بوني «انا

بوني غرين وهذه سليفيا ابنة عمي والتي كانت في رحلة القطار امس».

- «لم أرها في حياتي قط...، واسمي ليس غرمشو.. وفكر لحظة، لا أعلم ما هو اسمي لكن على كل حال فليس غرمشو.»

- «انه تائه يا للرجل المسكين» همست بوني «بالتأكيد خرج من الفراش بسبب الهذيان والافضل ان نرسل السيدة شمبكن للجلوس معه انه لم يسبب لنفسه اي اذى»

وكان عدم راحة السيد غرمشو بقدوم الفتاتين الى غرفته واضحاً جداً لذلك خرج الجميع من الغرفة لاخبار مديرة المنزل بأن الرجل يجب أن يترك وحده

- «والان تعالي» قالت بوني لابنة عمها أخذة يديها «سيكون لدى أبي متسع من الوقت الآن فقد رأيت الانسة سلفكارب في الطابق السفلي حين كنا في أعلى السلم». وحين وصل الجميع الصالة التي كانت تجلس فيها السيدة ولوباي، وجدوا الطبيب يتكلم مع السيد ولوباي.

- «اذن ستسمحون للرجل المسكين بالبقاء، هنا مدة

ما دام محتاجاً لعناية» قال الطبيب «هذا كرم منك يا سيد ولوباى»

- «حسناً» قال السيد ولوباي «لم استطع ترك الرجل المسكين في الثلج، فلدينا العديد من الغرف انه يستطيع ان يبقى هنا حتى يستعيد ذاكرته ربما حتى نعود، اذا ما احتاج ذلك. فالعناية به ستشغل الخدم اثناء سفرنا ستأتي وتشاهده بين حين وآخر اليس كذلك يا مورن؟»

وخرج الطبيب بعد أن وعد بالحضور المستمر للرجل الغريب، وتمنى للسيدة غرين عودة صحتها سريعاً.

- «لا شيء مثل رحلة بحرية يا سيدتي العزيزة لاعادة تورّد خديك».

- «وهذه هي سليفيا» قالت السيدة غرين بلطف بعد خروج الطبيب «اتمنى ان تكونا أنت وبوني صديقتين عزيـزتـين وان تهتم وتـراعي كل واحدة الاخرى حين تكونان في الخارج.

- «اجل يا امي» قالت بوني «لقد احببتها وسنكون سعيدتين معاً». ثم حنت رأسها وقد شحب لونها وتغير لون عينيها وأصاب وجهها نحول في اللحظة التي دخلت فيهـا خادمـة السيد غرين تحمل معها معطف السفر،

فقالت بوني:

- «هل انت راحلة الآن يا امي؟ وبهذه السرعة؟»

-نعم هكذا وبهذه السرعة، ولكن بعد خمس دقائق من منتصف النهار يا طفلتي»

قالت السيدة (غرين) اثناء ارتدائها المعطف. وبهتت سليفيا لنحول يدي عمتها وكم كانت عيناها جميلتين. ونزلت الطفلتان الى الطابق الاسفل بسرعة للتهيؤ للرحيل. وانتشر الخدم هنا وهناك متجمعين حول الحقائب لكي تخرج بعيداً عن المصيدة. وقد أسند السيد (ولوباي) برفق زوجته للخروج من باب الصالة وهناك احتضنت (بوني) بحنان وعناق طويل، وقبلتها قبلة دافئة وكذلك قبلت سليفيا. وبوجه شاحب شحوب الموتى ثم الصعود الى العربة. ورأت البنتان وجهها من خلال النافذة وكانت عينا السيدة تنظران بشوق لبوني. وقالت بوني:-

- «لن تطول رحلتك...» أجابت بصوت متهدج وجاف

- «كلا ليس طويلاً». «كونا عاقلتين يا طفلتي» قال السيد ولوباي بسرعة «بتطبيق ما تقوله لكما الآنسة سلفكارب». ووضع قطعة ذهبية في يد كل من الطفلتين وقال لهما «اسمعا كلام الانسة (سلفكارب) ». وقفز

بسرعة الى العربة بعد ان ركبت زوجته» هل أنت مستعد يا جيمس». ورفع السوط وبدأت الخيول بالركض سريعاً في جو الغابة وهكذا غادرا. وأسرعت العربة تغذّ السير فوق الثلوج المتراكمة على الطريق، مروراً بمنطقة من الاشجار ذات الاوراق المتساقطة ثم اختفت عن الانظار.

ومن دون اية كلمة أدارت بوني ظهرها وصعدت الى الاعلى وخلال الممر الطويل الى الحضانة، تبعتها (سليفيا) وقلبها مفعم بالعاطفة وتمنت أن تقول شيئاً او تتفوه بكلمات مريحة لبوني، ولكن الكلمات غابت عن ذهنها ولم تأت على بالها أية كلمة.

- «قد لا تطول سفرتهم يا بوني» جاهدت لأن تقولها اخيراً وكانت بوني جالسة على الطاولة وهي تمسك بيديها بعنف «لا لن ابكي ولن ابكي» قالت بوني لنفسها. ولصوت (سليفيا) المحب الرقيق أثر عليها، فابتسمت بلطف لابنة عمها، وقالت تحدث نفسها «انا سعيدة الحظ.... في الاقل امي وابي موجودان ومسافران... لكن المسكينة سليفيا ليس لديها اب ولا ام».

وقفزت من الطاولة وقالت لسيلفيا «تعالي ان الشمس مشرقة.. سأريك بعض الحدائق.. هيا لنذهب ونتزحلق..

- «ولكن يا عزيزتي ليس لدي عجلات تزحلق ولا أعلم كيف اتزحلق».

- اوه.. لكن ذلك من أسهل الامور في التعلم سأريك ذلك قريباً. اما بالنسبة لعملية التزحلق فقد فكر والدي بذلك من قبل، انظري» وفتحت احد الادراج وأرتها ستة ازواج من أحذية التزحلق المصنوعة للاطفال وباحجام مختلفة وبما انهما في عمر واحد، «فان والدي اشترى عدداً من الاحذية واعتقد بان أحد الاحذية سوف يكون مناسباً.. اليس كذلك؟».

ومن حسن الحظ فقد ناسب احد الزوجين من الاحذية قدميها تماماً، وكانت سليفيا مغرمة بهذه الفكرة المتعلقة بعمها، كانت متعجبة ومستغربة للاسراف الكبير في امتلاك ابنة عمها ستة ازواج من الاحذية لأجل ان تختار واحداً.

وفوق ذلك فقد سحبت (باترن) مجموعة من معاطف وقبعات مصنوعة من الفرو، وجربتها على (سيلفيا) حتى وجدت واحداً مناسباً لها وقالت لبوني:-

- لقد علقت معطفك الاخضر المخملي في الدولاب يا آنسة وهو مناسب لك جداً في لندن، ولكن هنا في الريف

تحتاجين الى ملابس اكثر دفئاً».

ولم تستطع سيلفيا أن تمسك وتمنع غصة مفاجئة شعرت بها حين تذكرت المنشفة الخضراء المخملية ورأت خطوط الفرو الابيض الذي تمنت ان ترسل واحداً من المعاطف لعمتها (جين) وفي اللحظة التالية امسكت بوني بيديها وسحبتها خارج الغرفة فصاحت باترن: «لا تذهبي خارج الحديقة الآن يا آنسة». فوعدت بوني «كلا... كلا. لن نفعل».

وكانت المعاطف مفصلة على الطفلتين، وركضت الطفلتان عبر المنحدر الكبير المغطى بالجليد أمام الدار الى اسفل حيث النهر المتجمد المتعرج نحو الحديقة بعد أن يسقط فوق شلالين او ثلاث شلالات صناعية، وهي الآن صلبة ثلجها يلمع لفرط تماسكه.

وجلست الطفلتان على الحافة في الحديقة ولبستا أحذية التزلج وبضحكات جريئة بدأت بوني تعلم سليفيا كيفية الحفاظ على توازنها في الثلج:

- «لماذا يا سيلفيا قد تكونين ولدت وأنت تعرفين ذلك، فأنت أحسن مني بالآف المرات حين بدأت التزلج اول مرة».

ـ «ربما يكون السبب ان العمة (جين) قد بذلت جهداً كبيراً في تعليمي اصول الرقص والتوازن بوضع قاموس د. جونسن فوق رأسي». اقترحت سيلفيا حين بدأت الانـزلاق فوق ضفة النهر المتجمد ثم عادت بأمان الى يدي بوني.

ـ «ومهما يكن السبب، فهو شيء رائع، نستطيع الآن الذهاب الى نهاية ضفة النهر تزحلقاً انه افضل من الذهاب مشياً، لأن الذئاب لا تستطيع ان تمسك بنا على الجليد».

ـ «نعم انه متجمد طول الطريق المؤدّي الى البحر. اوه يا سيلفيا انا لا اطيق انتظار الصيف لأريك الريف». قالت (بوني) اثناء تزحلقها برفق نحو الساقية.

ـ «ان النهر ليس مليئاً في الصيف فهو يذهب ويصبح ساقية مليئة بالأحجار ونستطيع أن نسبح ونركب زورقاً فنجدف وتكون الضفاف مغطاة بالمروج والورد الشوكي أليس ذلك جميلاً؟».

ـ «هل هو بعيد عن البحر؟». «اوه نعم بعيد بعيد جدا زهاء ٥٠ ميلاً الى بلسترن والتي هي مدينة غير جميلة، ملطخة بدخان الفحم، وذات طواحين قبيحة، ان ابي

يذهب الى هناك في بعض الاحيان حين يكون لديه عمل في البحر هناك في رفد حادث والتي فر منها أبي وأمي في رحلتهما الى تيفالي. وتنهدت بوني وتزلجت بضع ياردات بصمت لماذا؟ تساءلت فجأة أليس الآنسة سلفكارب هناك؟ فهي ليست منطقة امينة جدا بحيث نستطيع الذهاب اليها مشيا قرب الحديقة... ان الذئاب حاولت اكثر من مرة الدخول اليها وهي تعرف طريقها. اتمنى ان تعلم ذلك. أو هل علينا ان نحذرها؟»

- «هل أنت متأكدة من انها الانسة سلفكارب، قالت سليفيا متجهة ببصرها لرؤية الهيئة الرصاصية تمشي بجانب غابة بعيدة.

- اعتقد انها هي، هل أنت متعبة يا سيلفيا؟ هل تستطيعين التزلج مسافة نصف ميل آخر؟ فاذا ما استمرينا بالتزلج على النهر فسوف يستدير النهر وسنقترب منها، اعتقد انه من الضروري تذكيرها بالذئاب».

أجابت سيلفيا بأنها ليست متعبة وبأنها تستطيع التزلج مدة ساعة أو اثنتين كاملتين اذا كان ذلك جميلاً

العالية» قالت بوني بالحاح «وانا جئت بك الى هذا المكان البعيد... يا للمسكينة يا عزيزتي سيلفيا وأراك الآن متعبة»

- «كلا هذا هراء....» قالت سيلفيا بشجاعة: «كان يجب ان نأتي وسوف اتدبر أمري جيداً..» لكنها كانت في تلك الليلة متعبة جداً فابطأت في التزلج اكثر فاكثر وعضت بوني شفتيها وبدت قلقة، وكانت السماء قد اظلمت منذرة بسقوط الثلج. والاسوأ من ذلك فقد اقترب وقت الغسق.

- «لقد قمت بعمل خاطىء» قالت بوني نادمة «كان يجب على أن اعيدك الى البيت وآتي وحدي». «لكنني لا اوافق على ذلك».

وهبت ريح عاتية فجائية نثرت قطعاً صغيرة هنا وهناك، قدمت سريعة من الضفاف النهرية، كما سقطت بعض الرقائق الثلجية من السماء.

- «هل تستطيعين التزلج أسرع؟» قالت بوني التي لم تستطع كتمان التعجب الواضح المختلط بصوتها «حاولي يا سيلفيا، حاولي» وحاولت سلفيا بشجاعة لكنها كانت متعبة جداً بحيث لم تستطع حتى ان تحرك رجلها.

ـ «كم أنا غبية» قالت بوني ضاحكة باكية في الوقت نفسه.

«ماذا تقولين يا (بوني) لو جلست هنا على ضفة النهر في حين أنت تعودين الى البيت لطلب المساعدة».

ونظرت (بوني) اليها كأنها تفكر في مقترحها، وفي ذلك الوقت سمعت صوتاً ضعيفاً صادراً من بعيد وبدا هذا الصوت معروفاً لبوني منذ يوم أمس انه صوت ذو مغزى مخيف بالنسبة لسيلفيا، انه صوت الذئاب البعيدة فقالت بوني «هذا ليس في الحسبان» لدي خطة جيدة، يجب أن نخلع احذية التزلج، هل يمكنك تدبيرها وحدك؟ عجلي بذلك اذن».

وجلست الفتاتان على مجموعة من أوراق الشجر المتساقطة على حافة النهر. بدأتا تفتحان باصابعهما المتجمدة أشرطة الاحذية المعقودة. وارتعشت سيلفيا حين سمعت عواء الذئاب الآتية من الحديقة المتجمدة وقد وجدته اسوأ وأشرس من ذلك الذي سمعته في القطار. والفرق بين الحالتين أن الآن لا يوجد بينهما وبين الذئاب حاجز هذه الحشود العديمة الرحمة... كم يبدو ذلك مخيفاً. ووقفت الفتاتان وقد علّقتا احذيتهما برقبتيهما.

وضروريا وبالامكان زيادة السرعة ثم اسرعت الطفلتان على النهر المتجمد، واختفت ضفة النهر بسرعة الانسة سلفكارب عن انظارها واضافت بوني بانه تصرف غير حكيم منها. فباعتقادي انها لم تنتبه للذئاب حين قدمت من لندن وبدأ القلق يتسرب الى داخل «سليفيا» ويبدو انهما قد ذهبتا بعيدا حيث صار البيت بعيدا عن الانظار عبر الحديقة: وحين استدارتا نحو منحنى النهر رأتا الآنسة سلفكارب قد عبرت نحو الحافة الاخرى. وكانت بعيدة جداً. وبدات قدما سلفيا اللتان لم تعتادا على هذا النوع من التدريب تشعران بالتعب والالم. لكنها جاهدت نفسها للبقاء مع بوني القوية. وقالت بوني مشجعة سليفيا:-

- «فقط هذه الدورة التالية وبعدها يجب ان نلقاها. واذا لم نجدها فلا اعلم ما الذي سنفعله... يجب علينا ان نصل حديقة الغابة، والاكثر من ذلك فان النهر يدور نحو الغابة من هنا، وان الجليد متجمد على الاشجار المتكسرة وعبرتا الضفة ورأتا شخصاً ولكنه ليس بالهيئة المتوقعة. وكانت هناك امرأة ترتدي سترة حمراء مخملية تبتعد عن الغابة لكنها لم تكن الآنسة سلفكارب فهي لا

تشبهها ابدا. قالت سليفيا «انها ليست هي

وعلى هذا الصوت الصادر عنها التفتت المرأة بحذر والقت عليهما نظرة حادة ثم أسرعت باتجاه الغابة واختفت عن الانظار. وبعد لحظات سمعت نفس أصوات حوافر الخيل واصوات عجلات العربة.

«يا له من شيء غريب. هل يمكن ان نكون قد أخطأنا لكن كلا... لا يمكن ان يختلط علينا الامر فلا تلبس فستاناً رصاصياً عن آخر احمر». قالت سليفيا وكانت بوني قد قطبت حاجبيها «انني لا افهم شيئاً مما يحدث. ما الذي كانت تفعله امرأة غريبة في عربة في غابتنا؟ ان الطريق يمر من هنا لكن لا يؤدي الى مكان غير البيت. ربما حين نعود نجدها هناك وقد تكون هذه المرأة هي واحدة من الجيران جاءت للزيارة». وهزت بوني رأسها قائلة «ليس لدينا جيران في هذه المنطقة». ثم فجأة أمسكت بيدي «سليفيا» وقالت:

- «أنظري... انها الآنسة سلفكارب، وبالتأكيد صار بالامكان مشاهدة الشخص ذي المعطف الرصاصي وهو يبتعد عنهم باتجاه البيت»

وعليه تكون قد عادت حين مشينا بين الضفاف

- «والآن يجب أن نتسلق هذا التـل الصغير» قالت بوني «هلمي... سآخذ بيديك، هل تستطيعين الركض... يا لك من فتاة عظيمة يا سيلفيا! فأنت أشجع مخلوقة في العالم... وحين نصل الى البيت سأريك صندوق أعمالي الابنوسي للتعبير عن مدى أسفي لما فعلته بك.»

وحاولت (سيلفيا) جهدها ان تبتسم بوجه (بوني) ولم تستطع اجابتها لانها متعبة حتى من ان تفكر وتشك في انها تستطيع الوصول الى البيت. ووصلتا الى قمة التل، ووقفت بوني ساكنة.. وبدا لسيلفيا ان ذلك اضاعة لوقت ثمـين، في حين نظرت برفق حولهـا من خلال العاصفة الثلجية الكثيفة السريعة.

- «اه» صرخت بوني «ها هي كنيسة هرمز... يجب أن نذهب اليها بهذا الاتجاه» وسحبت بوني سيلفيا بركضة سريعـة على المنحـدر الثلجي... وجعلتـا النهر يفصل بينهما وبين الذئاب والتي صارت اهدأ من ذي قبل. لكن سيلفيا كانت مستاءة لرؤية بوني وهي تقودها مرة اخرى بعيداً عن المنزل.

- «الى أين أنت ذاهبـة يا بوني؟» قالت لاهثة وهي تحاول جاهدة لابقائها واقفة. فأجابت بوني «لدي صديق

يعيش في الغابة... اتمنى ان لا يكون بعيداً، هيا لنرتاح هنــا». ووقفت الفتــاتــان لاستعادة أنفاسهما في معبد هريمز والذي لم يكن اكثر من سطح مسند باعمدة رقيقة وصرخت سليفيــا «اوه بوني.. انظري... انظري هناك» صرخت على نحــو غير مسيــطر عليه، مؤشرة الى المكان الذي جاءتا منه.

ومــن خلال خيــط النهــار البــاقي في وقت الغسق استــطلعتــا تمييز نقطتين على المنحدر انضمت اليهما اعــداد اخرى، وبعد لحظة بدأت هذه النقاط بالتحرك بسرعة أسفل التل باتجاهمما. فقالت بوني:

- «ليس هناك وقت لاضاعته، هيا اسرعي، اسرعي» وســارت بوني بسرعــة تقود سليفيا بيد وتسندها باليد الاخرى لفرط ما تعانيه من التعب، ودفعتها خلال الغابة بعمق، وهنا بدت بوني تعرف طريقها بالغريزة، ومرت بين شجرة وشجرة وتدفع ما بطريقها لتوضيح الطريق لابنة عمها. «ها نحن هنا» قالت بوني بصوت خالٍ من الشكر ومما أثار استغراب سليفيا أنها وضعت أصابعها على شفتيهــا واطلقت صفــيراً واضحــاً وطويــلاً وممــا يثير

الاستغراب اجيبت بصافرة اخرى بصفير مماثل والذي بدا وكـأنـه قادم من تحت اقدامها من أعماق الارض وصاح صوت واضح النبرات رنان «هنا يا آنسة بوني... هنا بسرعة» ووجدت سليفيا فتى صغيراً ذا عينين براقتين بجانبها يساعدها وكان اطول قليلاً من (بوني) يرتدي ملابس جلدية وعلى رأسه قبعة من الفرو وهو يحمل قوساً ومجموعة من السهام علقها خلف كتفيه. وحين وجد اول الذئاب طريقـه اليهم في معبـد الهريمز اندفع نحوهم بشراسـة ومن خلال أثره الواضح. التفت الفتى واخذ سهما من وراء ظهره ووضعه في القوس ووجهه بسرعة الى وسـط تجمع الذئاب. فسقط احد الذئاب ووثبت البقية بسرعة تريد الهجوم عليه بنهم شديد. فقال الفتى «ان ذلك سيفسح لنا مجال التنفس. هيا الى الداخل يا انسة بونـي لا تضيعي الوقت». وشـدت (بـوني) على يدي (سليفيـا) وكـان الفتى يحمي الطريق المهدد بالذئاب بوساطة القوس والسهم، ووجدت سليفيا نفسها تمشي خلال طريق طويل وضيق، ثم انتقلت خلال ممر صغير الى آخـر مليء بالثـلوج ثم الى طريـق مليء بالاوراق الساقطة وبدأ الظلام بالانتشار وكانت سليفيا في الكهف ما

تزال قلقة تشعر بالعديد من المخلوقات الحية تدب حولها وتحت رجليها. وكانت هذه المخلوقات حشرات ضعيفة ورقيقة وتصدر أصواتاً ضعيفة متداخلة تحجب أصوات الذئاب وعواءها في الخارج. وقد استولى عليها الهلع فكادت تصرخ من الخوف لو كانت تملك نفساً آخر. ثم استدارت هي وبوني حول زاوية في الممر فرأتا نورا يبعث الراحة لنار تشتعل في موقد رملي. كانت هناك كومة من الاوراق اليابسة المغطاة بالفرو ساقطة على جدران الكهف. فتمددت الفتاتان المتعبتان على هذه الاوراق وحين ذاك فقط اعترفت (بوني) بانها مرهقة جداً يكاد يغمى عليها تعباً وخوفاً وقلقاً.

- «هناك» قال الفتى وهو يتبع الفتاتين «قد آغلقت الباب الرئيسي فلن تتمكن الذئاب من اللحاق بنا هذه المرة ولكن ما الذي كنت تفعلينه يا آنسة بوني وأنت بهذا البعد عن المنزل في ليلة حالكة الظلمة مثل هذه الليلة؟» «ليس مثلك من يفعل مثل هذه المجازفة الحمقاء» وحين بدأت بوني بشرح كيفية الوصول الى هنا كانت (سيلفيا) سعيدة برؤية مجموعة من الاوزات البيض الكبيرة وهي تسير خلف الفتى لتنزلق الى داخل الكهف. وكانت تبدو

خائفة من بوني وسيلفيا، وتلقي بنظراتها السطحية من عيـونها السود. وقد مدت اوزة او اثنتان منها عنقهما وصرختا بفزع، الا ان الفتى أشار لهما ليهدئهما برهة ثم رمى اليهما بكومة من الذرة فبعث في الاوزات هدوءً ونشر الرضا بينهما وبتأثير النار التي كانت في الموقد وحركة أعنـاق الاوزات الرتيبة الى الاعلى والاسفل حين تلتقط حبات الذرة كل ذلك جعل سيلفيا تروح في شبه اغفاءة اذ كانت كالمخدَّرة من التعب. وحين استيقظت سمعت هنـاك اصـواتاً مختلفة فيما بينها مما دفع (بوني) ان تقول بحذر «لكن يا سيمون لا نستطيع أن نبقى هنا طيلة الليـل فان العـزيزة (باترن) ستقلق كثيراً وتتصور ان الذئاب قد التهمتنا بالتأكيد، وكذلك الآنسة (سلفكارب) سيزيد قلقها علينا للسبب نفسه... وربما قد بعثوا رجالاً يبحثون عنا الآن...». فقال الفتى عائداً «سألقي نظرة سريعة.. والآن اذا ايقظت ابنة عمك يا آنسة فكلا من الفطائر اللذيذة الجاهزة للأكل، وبعد ذلك سوف تشعران بتحسن بمعدة سُدَّ رمقها ولم تعد فارغة تقرص من الجوع».

وكـان يتكلم بلهجـة ريفيـة جميلة وسعيدة. وكانت

سيلفيا مستلقية على كومة الاوراق ومسترخية لفرط النعاس وهي تشعر وتحس بان صوته له نبرة مريحة ولطيفة. «سيلفيا، استيقظي يا سيلفيا» قالت بوني «ها قد جلب لنا سيمون مشكوراً بعضاً من الفطائر اللذيذة، وأنت بالتأكيد مثلي جائعة جداً وتشتهين الاكل».

- «طبعاً.. طبعاً انا كذلك واكثر» قالت سيلفيا وهي تفرك عينيها وتنفض الاوراق من على جسمها ثم جلست. وكان الفتى قد فصل النار وجعلها كومتين وفيما بين الكومتين وضع احجاراً مسطحة كان يخبز عليها عدداً من الفطائر الصغيرة وقد التهمتها الفتاتان بسرعة وبنهم بمجرد أن رفعت عن النار وقد صار لونها محمراً من الخارج، اما داخلها فبقي اشقر ذا طعم حلو المذاق.

- «ان ما صنعته من الكعك عظيم وطيب المذاق يا سيمون» قالت بوني وهي تتساءل كيف صنعها؟» من طحين الفستق يا آنسة بوني... فانا اجمع الفستق في الخريف واطحنه بين الحجارتين. وحينما كانتا تأكلان ذهب الفتى عبر ممر المدخل ثم عاد بعد لحظة وقال بفرح «لقد ذهبت الذئاب، وان الليلة تبدو جميلة والسماء صافية مرصعة بالنجوم وليس هناك علامة تشير الى أن

رجالاً يبحثون عنك يا آنسة بوني. انا أرى أن من الافضل ان نخرج الآن ما دام الطريق واضحاً. هل تعتقدين بانه بامكاننا السير الى البيت بهذا البعد الآن يا آنسة سيلفيا؟»

ـ «اوه نعم، نعم، فانا اشعر بارتياح شديد» قالت سيلفيا ولكنها وجدت نفسها مضطرة على القول بأنها ما تزال تجد نفسها متعبة ومتألمة حين وقعت، وبأنها لا تستطيع الصمود على السير مسافة بعيدة والمشي بالسرعة المطلوبة «لقد ارهقت قواك منذ اليوم الأول» قالت بوني مؤنبة نفسها «مع ذلك اذا كان باستطاعتك المشي يا سيلفيا فاعتقد بأن علينا الرحيل حالاً لنوفر ساعات من القلق على المسكينة باترن». «بالطبع استطيع السير» قالت سيلفيا بشجاعة «هيا لنبدأ الآن» على الرغم من أن قلبها اضطرب قليلا لفكرة ان الذئاب ما تزال قريبة منهم «لحظة ان نبدأ» ضرب الفتى سيمون على خيال الرمل وبجهة معينة من الكهف اخرج قنينة كبيرة من الجلد وكوباً للشرب واعطى كل فتاة جرعة صغيرة من القنينة كان الشراب قوياً وذا طعم العسل» ان ذلك سيقويكما على المشي» قال الفتى «ما هذا يا سيمون»!

قالت بوني «انه شراب الميد يا آنسة فانا صنعته في الصيف من العسل». قال الفتى.

واخذ القوس ورمى عدداً من العيدان الخشبية في النار ولبس الاطفال معاطفهم المصنوعة من الفرو والتي تركوها حينما دخلوا الى الكهف الدافىء فقالت بوني «انا احب بيتك يا سيمون فانا لا اريد ان اتركه»

- «انتِ يا آنسة» قال سيمون مبتسماً «وبيتك الكبير ذو الغرف المعدة لكل يوم في السنة». «اوه نعم بالطبع، فانا احبه ايضاً، لكن هذا البيت مريح جداً.» وأسكت سيمون الاوّز الذي رفع رأسه وبدأ بالصياح حين مرت الفتاتان به.

- «كنت اتمنى ان يكون لدي سلاح آخر لادافع عنكما به» قال بصوت منخفض وهادىء.

- «فالقوس وحده لا يكفي لثلاثة، سوف اقطع لك هراوة خشبية حين نخرج يا انسة بوني» «اعلم ذلك يا سيمون» قالت بوني «لكن تذكر تلك البندقية بندقية الصيد الخفية لتي نسيتها هنا الخريف الماضي، هل ما زلت تحتفظ بها؟».

- «بالتأكيد فهي عندي» قال ووجهه يشرق «وهي

مزيتة بزيت البقرة وهي بحالة جيدة يا آنسة بوني. كم أنا سعيد بتذكيري بها، يالي من احمق في عدم تذكرها ونسيانها من قبل».

وقد أخذها من الحائط الذي كانت معلقة عليه وهي محفوظة بحقيبة جلدية. وحملت بوني البندقية بكل ثقة في حين كانت سيلفيا متعجبة ويساورها القلق، وأقنعت بوني نفسها بان البندقية في حالة جيدة وانها جاهزة للاطلاق. وقالت بفرح:

- «هيا نخرج فانا استطيع ان أبقي الذئاب الشرسة والمؤذية بعيداً بهذه البندقية وخرج الثلاثة في الليلة الصافية وكان الثلج قد طبع اقدامهم في الارض واقدام الذئاب وجعل منها خطوطاً كالسجادة تحت اقدامهم. وبقي سيمون وبوني يراقبان الذئاب وكذلك سيلفيا التي صارت في نفسها اقل خوفاً من الذئاب بسبب البندقية التي كانت تحملها بوني. ومع ذلك لم تكن هناك مناسبة لاستعمالها حيث بدا وكأن الذئاب غادرت المنطقة قبل مدة وانسحبت من دون شك بسبب المطاردة. كانت رحلة العودة الى المنزل هادئة بلا عرقلة وجرت بكل راحة.

ـ «ان الامر غريب» قالت بوني بصوت مفعم بالتعجب «فنحن لانرى رجالاً أو أي احد يبحث عنا في أي مكان وليس هناك من يحمل المصابيح للتفتيش عنا. لماذا؟ في المرة السابقة حين تأخرت فيها بالعودة للمنزل عندما رغبت في جلب الكرز البري كان أبي قد جمع رجال المنطقة للبحث عني حاملين معهم المسدسات!» «نعم» قال سيمون «لكن اباك بعيد عن المنزل الآن.. اليس كذلك يا انسة» قالت بوني بحسرة «انه كذلك» واعتقد ان هذا هو سبب عدم وجود الرجال» ثم انثنت ساكنة حزينة وحين وصلوا بوابة المنزل اقترحت بوني قائلة انه من الضروري الدخول من الجهة الجانبية للمنزل لكي يتحاشوا تنبيه الآنسة سلفكارب بعودتهم.

ـ «حيث انه من الممكن ان تكون (باترن)، بسبب الخوف من الآنسة سلفكارب، قد تتركها جاهلة بخروجنا» هذا ما توقعته بوني «اعتقد ان باترن تخاف قليلاً من الآنسة سلفكارب». ثم قالت سيلفيا مؤيدة ومتفقة معها «بالتأكيد.... بالتأكيد، هناك شيء بارد يشتعل حول عينيها، كما ان صوتها غير مريح، انا اتوقع ان هذا هو السبب يا بوني»

وحين اجتازوا نافذة كبيرة مضاءة، قالت بوني بصوت متجفظ ومنخفض: «هذه هي المكتبة الكبيرة التي يحفظ فيها ابي كتبه وأوراقه، وسوف اريك إياها غداً... ولكن ماذا؟ ما هذا الشيء المثير!» تعجبت بوني وحين أطلت من النافذة اثناء سيرهم بمحاذاتها رأت الانسة (سلفكارب) وتحت ضوء عدد من الشمعات كانت تعمل بجد في البحث بين مجموعة الاوراق، كانت الاوراق مبعثرة على الكرسي والمنضدة والأرض وبجانبها في نهاية الغرفة.. وكانت منشغلة كثيرا ومعها كان هناك رجل يشبه السيد غرمشو هل يمكن أن يكون هو؟ ولكن بالصوت الخفيف الذي أصدرته أصوات احذيتهم على الثلج استدارت الانسة سلفكارب.. لم تستطع أن ترى الاشخاص البعيدين عن منطقة الضوء الساقط من خلال النافذة. ولكنها سارت بخطوات ثابتة واسدلت الستائر المصنوعة من القطيفة مغلقة كل أجزاء المنظر الداخلي، «ماذا كانت تعمل؟» تعجبت بوني «ألم يكن ذلك الرجل هو السيد غرمشو؟ ألم يقل (د. مورن) يجب أن لا يغادر الفراش» «ربما هي تحاول أن تعود نفسها الاطلاع على محتويات اوراق أبيك» قالت سيلفيا «ألم

تقولي بأنها سترعى المنطقة؟ وانا متأكدة من أن الرجل كان السيد غرمشو.. فلم يكن لدينا وقت لرؤية وتمييز الشخص ووصلوا الى الباب الخلفي ولم يكونوا قد طرقوا الباب بعد، حين فتحت باترن لهم الباب محتضنة اياهم: «اوه انتم انتم يا اطفالي الاعزاء كيف فعلتم ذلك؟ فان قلبي الصغير كاد أن يتفطر من الخوف بمجرد التفكير بأن الذئـاب قد التهمتكم... وكـانت الانسة سلفكارب لاتقول شيئاً وانما تصورت رجوعكم السريع.... وكنت اقول انني اعتذر عن قبول الرأي لانك لا تعرفين هذه الحديقة ولا تلك الذئاب كما أعرفها انا» وكنت أرجوها وأرجـوهـا كي تقـول للرجال وتنبههم الى وجوب اطلاق الانذار ولكن لا فسيدتي تعلم ما الذي يجب فعله. وكنت واثقة من انه لا شيء سيحدث لها حتى تعثر على احذيتكم في الثلج والباقي قد التهمته الذئاب ان لم تعودوا للبيت وحدكم يا خرافي المشاكسين الطيبين. وبدأت المخلصة باترن بالبكاء. فقالت بوني محتضنة إياها «لسنا وحدنا يا باترن، فقد جلبنا سيمون للبيت لأننا قد طوردنا من قبل الذئاب... على الرغم من انه ليس خطأنا فعلاً وقد خبأنا في الكهف الى ان ذهبت الذئاب» لن اسمع كلمة

تقـــال ضد هذا الفتى، فبعضـهم يقـول بانـــه غجـري شيـطاني... لكني اقول بانه الأحسن والاطيب والاكثر ثقة، دعيه يدخل يا آنسة بوني وقدمي له حلويات العيد، فقـد كانت كبـيرة جداً بحيث لا يمكن ان توضــع في الحقيبة.» «ولكن ربما سيمون قد خجل من كلمات باترن لذلك هرب مسرعاً الى الخارج من دون ان ينتظر كلمة شكـر. فقالت سيلفيا وقد اتسعت عيناها «هل سيكون بخير؟... الن تتمكن الذئاب منه اثناء عودته الى المنزل؟» فطمأنتها بوني «لااعتقد ذلك، لن تستطيع أن تمسك به أبداً فهو يركض سريعاً. الى جانب ذلك فلديه قوسه، كما انـه يستطيع تسلق الاشجار والتأرجح من غصن الى غصن، اذا ما اقتربت منه». فقالت باترن وهي تسحب الفتاتين وتدفعهما الى السلم «لاتخافي عليه فلا شيء يمكن أن يؤذيه هيا معي الآن حتى استطيع ان امسك بكما في الداخـل». وكـان الجميع يرتجفون برداً على الرغم من ارتـدائهم الفـرو، وكانوا سعداء في الجلوس قرب النار المتأججة في غرفة الضيافة في حين كانت باترن تخرج دبابيس الشعر والاشياء الاخرى من شعر الفتاتين.

ثم جلبت بنفسها قدر الحمام ذي الماء البخاري الحار

والذي كان يحتوي على معطر الليمون حيث يجعله يفوح برائحـة عطرة، وحمت الفتاتين كل بدورها ثم لفت كلا منهما بمناشف بيض نظيفة. وبعدها جلبت لهما حساءً حاراً وراقبت كل لقمة تبتلعها الطفلتان، واخيراً وضعتهما في فراش بوني الكبير المريح، الذي كانت البجعات الزرق معلقـة فوق ستـائـره «اذا ما كانت هناك كوابيس عن الذئـاب فبهذه الطريقة نستطيع أن نبعدها وتريح كل واحدة مكنما الاخرى». قالت بوني بصوت دافىء مليىء بالحنـان «واما بالنسبة للانسة سلفكارب فدعوها قلقة حتى الصبـاح، فسـوف لا اذهب اليهـا مرة اخـرى، فالمجيىء للبيت بسرعة شيء يحدث باستمرار» ثم خرجت باترن على رؤوس قدميها تاركة ضوءاً وردياً خافتاً لينير الغـرفـة منسجمـاً مع الصوت الرتيب لطقطقة النيران الهادئة التي تساعد الطفلتين على النوم العميق.

الفصل الخامس

وطلع صباح اليوم التالي بسماء رمادية عابسة، وكان الثلج يتساقط سريعاً منها وكأنها كانت مثقلة به، أما الرقائق الثلجية فكانت تنزل متطايرة كأنها الريش المتناثر من مخدة عتيقة، وتركت (باترن) الطفلتين تنامان الى وقت متأخر من الصباح التالي. وحين استيقظتا جعلت تدللهما بأن قدمت لهما الطعام في غرفة اللعب أمام نيران المدفاة. الا أن الوجبة لم تكن سعيدة اذ شعرت (سيلفيا) بالتعب نتيجة اجهادها في اليوم السابق

في حين كانت المسكينة (بوني) تفكر في كل لحظة بغياب اهلها متألمة في هذا الوضع كم هما بعيدان في رحلتهما عنهم. وآلمها سكون البيت الحزين وغير العادي والذي كان في وجودهما مليئاً بذهاب الخدم وايابهم ووقع حوافر الخيل وصياح والدها لاصدار الاوامر اذ كان لا يصبر على أن يدق الجرس. وحاولت سيلفيا ان تصرف انتباه بوني بأن تسألها اسئلة عديدة عن سيمون، ذلك الفتى في الغابة.

«هل هو يعيش دائماً في الكهف يا بوني؟ ان ذلك يبدو غريباً... أليس له أب أو أم» فهزت بوني رأسها «كلا لا يعرف ذلك، فقد جاء الى أبي قبل حوالي اربع او خمس سنوات في يوم من أيام الخريف وسأله فيما اذا كان بامكانه العيش في الكهف الموجود في الحديقة وقال بأنه كان يعمل أجيراً لأحد الفلاحين لكنه اساء معاملته فسار مسافة حوالي نصف انكلترا للتخلص منه وسأله ابي ما الذي يريد ان يعتاش منه؟ فاجاب الفتى بانه يعيش على محصول الفستق وعلى بيض الاوز ولديه اوزّة واوز والذي يربيه من الفراخ. وقد اعجب والدي بالفتى في انه سيحاول العمل حيث ان هناك آلافاً من اشجار الفستق

في الحديقة تحتاج الى أيد عاملة لكنه-قال لايجوز لسيمون ان يأتي ويبكي من الجوع اذ يجب أن،يعود ويعمل لأكل عيشه كفتى بستاني.

-«وهل هو كذلك؟» سألت سلَيفيا «يعمل كفتى بستاني؟ كلا فهو يعيش على الفستق وعلى الاوزات الكبيرة التي رباها. وفي كل ربيع يأخذ سيمون اوزاته الى لندن ويبيعها في احتفال العيد فهو يصبح مشهوراً هناك... واغلب الاحيان يقول أبي بانه يتمنى ان يكون له بعض الشأن» تنهدت بوني.

- «اتساءل فيما اذا كان سيعيش في الكهف دائماً» كانت سيلفيا قد بدأت بالكلام حين دخلت باترن لترفع اطباق الفطور والآن يا آنسة بوني ويا آنسة سيلفيا ها قد حان موعد الدرس يا عزيزتي... هيا عجّلا امريكما وارتديا ملابسكما... وكانت البنتان اثناء تناولهما الافطار ترتديان ملابس النوم الحريرية الفضفاضة «ولكن هذا هو ليس ثوبي يا باترن» قالت سيلفيا ناظرة باعجاب الى الملابس التي كانت تحملها انها فستان صوفي سميك وناعم ذو ظل ازرق والذي كان يريح عينيها كثيراً انه بالتأكيد اجمل من أي شيء يعود لي» فقالت

(باترن) بعطف وحنان منذ أمس يا آنسة سيلفيا صنعت لك هذا فان السيدة (غرين) بارك الله بقلبها الطيب تعتقد انك قد تحتاجين بعض الملابس التي تبعث فيك الدفء المناسب للريف. لكنها لم تكن تريد ان تعمل أي شيء لك الى ان تتعرف على الالوان التي تناسبك اكثر. وقبل ان تغادر امس أمرتني ان اصنع لك بعضاً من تلك الملابس التي كانت جاهـزة مع مجموعة اخرى، هناك اضافت متفحصـة فستـان سيلفيا من الخلف وادارتها نحوها وقـالت «اذا لم يكن ذلك قادراً على اظهار لون عينيك؟ وهناك بعض الاشرطة التي تناسب شعرك» واغرقت عينا سيلفيـا بالدمـع لمجـرد التفكـير بان عمتهـا المريضة والحزينة نتيجة تركها وبعدها عن البيت ما يزال لديها الوقت الكافي لمثل هذه الافكار.

- «تعـالي يا سيلفيـا» قالت (بوني) والتي منذ ذلك الوقت كانت مسرعـة تلبس فستـانهـا الاحمـر الداكن الكشميري ذا البنيقة البيضاء «سنتأخر عن دروسنا» وركضت الطفلتـان نحـو غرفـة الدرس في حين كانت (باترن) تطوي وتضع بعيداً فستان سيلفيا الابيض. ولم تكن الانسـة سلفكارب قد عادت بعد، وكانت الفتاتان

تلهوان وتقضيان الوقت بالتجوال وتنظران نحو الصور الجميلة المعلقة على الحائط وحين لم تظهر الانسة سلفكارب مرة اخرى اخذت بوني سيلفيا خارج غرفة الدراسة الى غرفة الالعاب. وكانت غرفة كبيرة وكانت هذه الغرفة الكبيرة والجميلة مفروشة بسجاد ازرق وجدرانها وسقفها الذي يتوهج بالنجوم المذهبة، وكانت تحتوي على كل لعبة خيالية وجميلة وعدد كبير من تلك التي لم تحلم سيلفيا ان تراها ولا في الاحلام. وكان هناك حصان خشبي يحتل وسط الغرفة مغطّى بشعر حصان حقيقي وكان منقوشاً بدقة وكأنه حقيقي وكأن عينيه بلّورتان تشعان بالذكاء والحكمة «انه دو ليفس» قالت بوني وقد احتضنته باهمال وتجاوزته «انها كلها بما في ذلك بقايا الكرسي الصغير، انه اكبر اللعب (ميراندا) واصغرها في هذه الجهة والتي هي احبها الى قلبي (كونشيتا)»

ومسحت سيلفيا بلطف على (انابيل) المخبأة في جيبها لكنها قررت عدم تعريفها الى تلك الجميلات ما لم تفِ (باترن) الطيبة بوعدها وتخيط لها ملابس جديدة مصنوعة من القماش المتبقي من تلك القطعة الزرقاء. ثم فكرت سيلفيا في ان (انابيل) ستبدو عرضية وان بعضاً

من الدمى هذه ليست بتلك الثقة «هذا هو بيت الدمى» قالت بوني «انــه غير مسمــوح للكبار في الدخول ولكن باستــطاعتك الدخول يا سيلفيا متى ما تشاءين» وكان بيت الدمى واسعاً جداً بحيث يمكن الدخول فيه وكان كوخــاً ذا سقف حقيقي (وطيــور الكنــاري الحقيقية تعشعش فيه) وكان يحتوي على شرفة وسلالم ومخزنين وطابقين وموقد للطبخ يعمل حقاً وعدد من أثاث الملكة ان الحقيقيّــة بضمنهــا صنــدوق من خشب الجــوز مليء بملابس الملكة التي تناسب الاطفال.

وكــانت سيلفيــا تجــرب معطفاً من القطيفة الزرقاء وكانت بوني تقول: «تعالي وانظري الى بقية الدمى انك لم تري نصفهــا بعد» حين قطع كلامها بكحة صادرة من غرفــة الدرس حيث اعيــدت المــلابس الى الصنــدوق «سأريك البقية هذا المساء» همست بوني مشيرة بيدها الى خزانة كبيرة في الجدار ذات البابين الزجاجيين.

«انــا آسفة يا آنسة سلفكارب... لم نكن في الغرفة لاستقبــالك» بدأت بوني بالكــلام بطريقتها المتهورة ثم توقفت فجــأة ولا حظت سيلفيــا شحــوب لون بوني واستدارت المربية التي كانت تتفحص بعض الكتب على

الرفوف، استدارت فجأة وكانت تبدو مستغربة لرؤيتهما.

«اين كنتما؟» قالت بعصبية بعد لحظة من التوقف «لماذا؟» قالت سيلفيا كنا في الغرفة الاخرى يا آنسة سلفكارب.

ولكن بوني تساءلت وبصوت مخنوق «لماذا ترتدين فستان امي؟» ولاحظت سيلفيا بان الآنسة سلفكارب كانت ترتدي فستاناً من القطيفة مذهباً وبازرار من الياقوت واكثر من ذلك الثوب الهفهاف الرصاصي الذي ارتدته في اليوم السابق. «لا تتكلمي معي بهذه الطريقة يا آنسة» صاحت الانسة سلفكارب بعصبية «لقد كنت مدللة طول الوقت في حياتك ولكن سنرى من ستكون السيدة الآن. اذهبي الى مكانك واجلسي فيه، ولا تتكلمي الا اذا سئلت». ولم تعبأ بها (بوني) ولم تعرها أدنى اهتمام وقالت:

- «من قال ذلك؟ من قال بأنك بامكانك ارتداء فساتين امي» أعادت السؤال وخافت سيلفيا وجلست في مكانها على المنضدة. لكن بوني وقفت امام المربية تحملق في وجهها فأجابت الانسة سلفكارب ببرود «كل شيء في هذا

البيت قد ترك تحت تصرفي»

- «لكن ليس ملابسها. ليست لتلبسيها... يا لجرأتك! هيا اخلعيه فوراً ان تصرفك هذا ليس اقل من السرقة»

وظهرت أنياب الآنسة سلفكارب على جهتي فمها.

«كلمة اخرى ويكون الدولاب مكانك والخبز والماء طعامك يا آنسة، وسأحبسك في هذا الدولاب وأطعمك الخبز والماء، قالت بانزعاج». فاجابت بوني «لا اهتم بما تقولينه» قالت ذلك وقد ضربت الارض بقدميها «هيا اخلعي فستانك» وقرصت الآنسة سلفكارب اذني بوني ولكن بوني أمسكت برسغها. واثناء هذا الخصام وقعت زجاجة الحبر على المنضدة تاركة ذيلاً من الحبر الازرق على تنورة الفستان الذهبي المصنوع من القطيفة. فشهقت الآنسة سلفكارب بعنف قائلة

- «يا لك من طفلة شقية وقحة غير مؤدبة!... ستدفعين ثمن ذلك». وبقبضة قوية دفعت بوني نحو الدولاب الحاوي على طباشير السبورة والكرة الارضية وكتب التمارين ثم اقفلت الدولاب عليها وخرجت من الغرفة.

وبقيت سيلفيا جالسة في مكانها من دون حركة

مأخـوذة بمـا يجري ساكنة لحظة ثم ركضت الى باب الدولاب ولكن كيف تعمل وماذا تعمل؟ وقد أخذت الآنسة (سلفكـارب) المفتـاح معهـا. وكـانت (سيلفيا) تسمع شهقات البكاء من الداخل «بوني... بوني... هل أنت على ما يرام؟ ارجـوك لا تبكي سأذهب اليهـا واعتـذر لهـا واتوسل اليها أن تخرجك، واعتقد بأنها ستفعل اذا ما فعلت ذلك. انها لم تكن تعلم بانه فستان والدتك المفضل».

ولكن يبدو بأن بوني لم تكن تسمعها «ماما... ماما» سمعتها سيلفيا تشهق بكاءاً «لماذا؟» ذهبت وتركتنا»

وتمنت سيلفيا بانها تستطيع ان تكسر باب الدولاب وتضـع يديهـا حول المسكينـة بوني. ولكن الباب كان سميكاً وقوياً وذا قفل كبير. وكان الدولاب صامداً امام قوة سيلفيـا الواهنـة لازاحتـه. وحين شعرت بانها لن تستـطيـع ان تجلب انتباه بوني ركضت سيلفيا خلف الآنسـة سلفكـارب. وبعـد عدة طرقات على باب غرفة المـربية دخلت من دون أن تنتظر الجواب وهي عملية شجاعة من سيلفيا الساذجة لم يكن هناك أحد. وكان فستـان القـطيفـة المبقع بالحبر قد وضع باهمال على

الأرض وقد بدا متسخاً وممزقاً. ويبدو ان الآنسة (سلفكارب) قد عانت كثيراً اثناء خلعه.

وخرجت سيلفيا مسرعة من الغرفة وبدأت تبحث عنها في أرجاء البيت الكبير، داخلة هذا الممر وخارجة من الآخر وخلال الصالات وفي غرف المراسم الذهبية وغرف البليارد وصالات الرقص واخيراً وجدت المربية في الصالة الكبيرة محاطة بالخدم. ولم تر الآنسة سلنكارب سيلفيا. وكانت الآنسة سلفكارب قد خلعت ذلك الفستان ولبست غيره من فساتين السيدة غرين وكان من قماش الكريب الوردي ومحلّى بالماسات على الكتف ولم يكن يناسبها كثيراً ويبدو انها كانت تعطي الخدم اجرتهم. وقد استغربت سيلفيا حين رأت معظم الخدم يبكون. وكان الرجال عموماً ينظرون اليها بعصبية وحقد وفهمت سيلفيا ما يجري حيث ان الآنسة سلفكارب كانت تدفع لهم اجورهم وقد تستغني عنهم وتطردهم. وحين اعطت آخرهم المبلغ صار الموقف واضحاً حيث قالت لهم:

- «الآن اذا تخطت اقدامكم على بعد ١٠ أميال من هذا المنزل فسأتصل بالشرطة» ثم اضافت موجهة كلامها الى الرجل الذي كان يقف بجانبها «هذا شيء غير

معقول، غير معقول، ان تبقى مثل هذه المؤسسة مثالية للاشيء فقط يدقون كعوبهم جيئة وذهاباً» «هكذا فقط هكذا فقط يا مدام» قال الرجل مؤيداً. فرحت سيلفيا حين عرفت ان ذلك الرجل هو السيد غرمشو. وقد تعافى وتماثلت صحته للشفاء وهو الآن يملك كامل فعاليته وكان يحمل بندقية صغيرة في يده ويهدد فيها الخدم للخروج من الباب في طريقهم الى العاصفة الثلجية خارج المنزل. «يا له من شيء عجيب» قالت سيلفيا لنفسها باستغراب وتعجب «هل يمكن ان يكون قد تعافى بهذه السرعة أو لم يكن مريضاً على الاطلاق؟ هل يكون على صلة ومعرفة بالانسة (سلفكارب) من قبل؟ لقد كان يبدو غريباً جداً في القطار». وفي تلك اللحظة سمعت سيلفيا صوتاً مألوفاً بجانبها، وفي زحمة أصوات الخدم وجدت باترن منحنية قريباً من يديها «آنسة سيلفيا يا عزيزتي الحمد لله الذي رأيتك هنا. ان تلك الشيطانة قد طردتنا من البيت ودفعت لنا اجورنا ولكنها لم تفكر في انني سأترك عزيزتي الآنسة بوني، هلا تأتين أنت والآنسة بوني اليوم الساعة الخامسة الى الحمام الازرق لنتكلم في الذي نستطيع أن نفعله»

«ولكن بوني لا تستطيع! فهي محبوسة!» قالت سيلفيا بألم «انها محبوسة في دولاب الكتب في غرفة الدرس» «ليس لديها حق في ذلك اتمنى لو استطيع ان اجعل يدي حول رقبة تلك الشيطانة» قالت باترن «ذلك لانها تعلم بان الآنسة بوني لن تقف أمامها أليفة (ساكنة) وتجعل خدم والدها القدامى يطردون الى الخارج في الثلوج. أخرجيها من الدولاب فهي لا تتحمل ان يغلق عليها.» «ولكن لا استطيع يا باترن فالمفتاح لدى الآنسة سلفكارب»

- «ولكن هناك واحد في صندوق اللؤلؤة في غرفة..... حيث..... ولكن سيلفيا لم تنتظر، فقد تذكرت كيف تجد طريقها الى تلك الغرفة فركضت بسرعة ووجدت الصندوق وأخرجت المفتاح ثم ركضت نحو غرفة الدرس وفتحت الباب ثم فتحت الدولاب لتجد نفسها امام بوني وقد وضعت خدها على خد بوني الجميل الذي كان مبللاً بالدموع.

«أوه... يا للغالية المسكينة، اوه يا بوني، انها تلك الشيطانة الآنسة سلفكارب حقاً، انها شيطانة، وقد طردت كل الخدم».

«ماذا؟» ذهلت بوني مما سمعت فقد أحزنتها وآلمتها الحكاية التي قصتها لها سيلفيا «هيا لنذهب حالاً» قالت بوني «حالاً ونوقف تلك الاعمال» ولكن حين مرتا من خلال شباك غرفة الدرس الكبير رأتا الخدم بعيداً في العاصفة الثلجية «لقد تأخرنا» قالت سيلفيا بألم. ونظرت بوني الى الاشخاص الذين أصبحوا صغاراً من البعد وعضت شفتيها «هل ذهبت باترن معهم» التفتت بوني الى سيلفيا «لااعتقد فقد اختبأت في مكان ما خارج المنزل» واخبرتها بما قالته (باترن) عند لقائهما في ذلك المساء «انها طيبة وهي مخلصة» قالت بوني «ولكن هل هناك خطر عليها» قالت سيلفيا «فقد هددت الآنسة سلفكارب باحضار الشرطة اذا ما رأت أيا من الخدم قرب المنزل فقد ترسل باترن الى السجن». «انا لا اعتقد ان باترن ستسمح لنفسها ان تمسك فهناك العديد من الاماكن السرية حول المنزل للاختباء فيها. وفي كل الاحوال فان جميع الضباط هنا هم اصدقاؤنا» وفي تلك اللحظة فزعت الطفلتان لسماعهما اصواتاً تقترب منهما وكان أحد هذه الاصوات، صوت الانسة سلفكارب فشحب لون سيلفيا وقالت «يجب ان لا تراك خارج الدولاب... هيا يا بوني

اختبئي بسرعة وأعيد غلق باب الدولاب وأضع المفتاح فيه ولم يكن هناك وقت لاضاعته فقد اختبأت الفتاتان خلف ستارة النافذة ودخلت الانسة سلفكارب ومعها الخادم جيمس فقالت:

- «ولانني عملت لك فصلا بابقائك في عملك اثناء طردي الاخرين عليك ان تعمل بأجرتك كأنما لم تعمل من قبل». وكانت ستارة النافذة التي اختبأت الطفلتان خلفها مطرزة بقطع صغيرة من الكريستال ومحاطة بقطع صغيرة من حبات اللؤلؤ وشكلت هذه القطع منافذ صغيرة في الستارة واستطاعت بوني ان تنظر من خلالها لترى وجه جيمس الطيب قد احتوى على تعبير مقتضب والذي كان يحاول ان...

اولا يجب ان تخرج جميع اللعب وتضعها في صندوق وعليك ان ترسلها للبيع ثانيا... انه شيء سخيف ان تحتفظ بمثل هذه الكمية من الاوساخ لمجرد ايناس وامتاع طفلتين».

«نعم يا سيدتي» «وفي وقت العشاء اجلب بعضاً من الخبز والماء في صينية طعام للانسة بوني المحجوزة في ذلك الدولاب»

«هل اخرجها يا سيدتي ؟» «كلا بالتأكيد فهي طفلة شقيــة سيئة التصرف لا تستمــع النصح. قد نخرجها الساعة ٨:٣٠ وها هو المفتاح».

«نعم يا سيدتي» والطفلة الاخرى الانسة سيلفيا غرين تستطيع ان تتغدى في غرفة الدرس كالمعتاد. طعام بسيط، ليس طعاما من الطراز الاول ومن الان فصاعدا يجب تعـويـد الطفلتين ان ترتبا فراشيهما وان تغسلا صحونهما وملابسهما بنفسيهما». «نعم يا سيدتي

«وبعـد العشــاء اريدك ان تفحص حظيرة الخيول والمهرات جميعها يجب ان تباع. اربعة خيول كافية للعربات».

«وهل مهرات الاطفال كذلك يا سيدتي،

- «بـالتـأكيـد وسوف اجد اعمالاً تناسبهما بشكل افضل من تلك المثالية وغير المعقولة اما انا فتستطيع أن تجلب لي غذاءً بسيـطاً السـاعـة الواحـدة، بعضاً من الدجاج وفطيرة محار وشيئاً من الحلوى ونصف زجاجة شمبانيا»

وانسحبت من الغرفة وفي اللحظة التي خرجت فيها

ذهب جيمس الى الغرفة التي فيها الدولاب وفتحه بسرعة قائلاً بصوت خفيض «آنسة بوني لقد ذهبت بامكانك أن تخرجي» وقد بدا متعجباً حين وجد الدولاب فارغاً، ولكن في اللحظة التالية خرجت الفتاتان من خلف النافذة...

«جيمس... جيمس...» قالت بوني «ما هذا الذي تعنيه؟ كيف تتجرأ الانسة سلفكارب أن تبيع خيول والدي؟ لماذا تفعل هكذا»؟ «لماذا انها ملعونة وشريرة» قالت سيلفيا. فقال جيمس بحزن «أنت على حق يا آنسة فهي العمة المغلوطة وحين أفاق من أثر مفاجأة عدم وجود بوني في الدولاب أضاف قائلاً:

- «كيف خدع والدك بمثل هذه المرأة؟ لاأعلم...

«لكنه لم يقابلها ابداً فقد ربيت وعُوّدت ان تأتي الى هنا لترعانا وذلك عن طريق محامي والدي السيد (غريب) ومع ذلك فهي من اقاربنا» أجابته بوني مفسرة وجودها بينهم «آه هكذا اذن» قال جيمس هازاً رأسه ومع ذلك فهو شيء محير بالنسبة لي... لماذا لم يميزها السيد ولوباي حين رآها، فنظرة واحدة لوجهها قد تكفي للكشف عن شخصيتها، ولكن اعتقد بأن السيد ولوباي كان قلقاً على السيدة»

«ولكن قل لي يا جيمس لماذا طردت الخدم كلهم وابقتك أنت فقط؟»

«لماذا يا آنسة فانا اعتقد بانها تريد ان تحتفظ بالمال حين تشرق الشمس، وتحتفظ باجور الخدم وتضع ما تجمعه من نقود والدك في جيبها اثناء غيابه وقبل أن يعود على ما اعتقد، ستغادر فهي أبقت ثلاثة أو أربعة خدم فقط لخدمتها. والاسوأ من ذلك فهي أبقت اكثر الاشخاص غير الموثوق بهم (غروش) الخازن وقد صار الخادم الذي كان السيد ولوباي قد اعطاه فرصة بعد أن امسك به (وبروت) السكير. واعتقد بأنها قد أحبت وجوههم الخبيثة الشريرة. فقد رأيت كيف كانت تطردهم. لذا فقد حاولت أن اجعل وجهي منقبضاً مثيراً للشفقة وبذلك فقد نجحت الخدعة وابقتني ايضاً فقد كنت افكر فيك يا آنسة بوني ويا آنسة سيلفيا في بقائكما وحيدتين في البيت ومع مثل هذه المجموعة من اللصوص. أما المسكينة باترن فيجب ان تغادر كذلك وكانت بحالة يرثى لها».

«لكنها لم تبتعد كثيراً» اخبرته بوني واوضحت له جدول لقائهما لها في غرفة الملابس الزرقاء الصغيرة.

فانفرجت اسارير جيمس بابتسامة الرضا.

«انـا اعلم بأنهـا لا يمكن ان تنجرف بسهولة» قال جيمس «حسناً سيكون لدينا اجتماع مناسب، وسنقرر آنذاك ما الذي سنفعله. وفي الوقت نفسه علي أن اقوم بجمع هذه اللعب يا آنسة بوني، والا سأفقد مكاني ولن استطيع مساعدتكما».

«تجمع لعبي؟ ولكن لا يمكنك ان تفعل ذلك». قالت بوني بحزن وألم ناظرة الى لعبها الثمينة «ألا تستطيع أن تخبئها في احد هذه الادراج.

«لايمكن ذلك يا عزيـزتي الآنسـة بوني، فسـوف تكتشفهـا حين تكـون في الصناديق استطيع الاحتفاظ بعدد قليل منها، ولو انني لا استطيع الجزم بذلك» قال جيمس بأسف وتأثر ثم نظرت بوني الى لعبها في محاولة لمعرفة أي من لعبها تستطيع مفارقتها. «دولفس يجب ان يذهب والا سيفتقد» وكذلك اللعب الكبيرة والبيت. لكنها تستطيع الاحتفاظ بكونتيشا المفضلة المحبوبة. وصندوق العـاج الكبـير المصبـوغ والذي حجمه بحجم صينية الشاي. وكذلك الزلاقات الثلجية وبعض الملابس الجميلة من بيت الدمى. في حين كانت سيلفيا تخرج اكثر الكتب

المصورة من دولاب المكتبة. «اوه يجب ان احتفظ بكراس الكتابة يا جيمس، حيث يجب ان اكتب لابي اليوم لاخبره بما حدث وعن شرور الآنسة سلفكارب وتصرفاتها وسيعود فوراً.» «سأضع لك الكراس في مكان منزوٍ ويجدها جيمس، لكن ليس هناك فائدة من الكتابة لوالدك او الى السيد غريب.»

- «لماذا يا جيمس؟» «لماذا؟ ان والدك الآن في البحر، ولن تصل سفينته الى المرفأ قبل ثلاثة أشهر».

- «اوه.... يا الهي... لن يصل» قالت بوني بحزن «ولا أعرف عنوان السيد غريب في لندن، ماذا سأفعل؟ فنحن لا نستطيع تحمل هذا الوضع المزعج مدة ثلاثة اشهر وامامنا ثلاثة اشهر اخرى قبل ان يأتي ابي الى هنا، هذا اذا استرجعت امي صحتها، وفي ذلك الوقت سمعوا وقع اقدام... انها الآنسة سلفكارب تتقدم اكثر وتصيح بصوتها الأجش المزعج «جيمس تعال الى هنا فانا احتاج مساعدتك في ازاحة الصندوق الكبير» فهمس جيمس مهرولاً «يجب ان أذهب الآن يا آنسة لاتدعيها تراك سأجلب لك الغداء الى هنا قطعة بعد اخرى» ثم ابتعد عن الغرفة ومر اليوم حزيناً إذ كان مفروضاً ان تبقى

بوني محبوسة في الدولاب لم تستطع ترك غرفة الدراسة خوفاً من لقاء الآنسة سلفكارب كما ان سليفيا لا تستطيع الذهاب الى أي مكان من دونها. وقد حاولت الفتاتان اشغال نفسيهما بمختلف الاعمال والقراءة والخياطة والرسم ولكن لم تستطيعا الاقتناع بهذه الاعمال مدة طويلة. وفي المساء سمعتا صوت الآنسة سلفكارب في الممر الخارجي، فانسحبت بوني الى خلف ستارة النافذة، لكن المربية لم تدخل الغرفة، فقد كانت تتكلم مع جيمس مرة اخرى. «هل هذا هو غداء الفتاتين؟»

- «هذا هو الخبز والماء للآنسة بوني يا سيدتي» أجاب باحترام شديد وسأجلب صينية للآنسة سيلفيا حين ادخل هذه الصينية» فقالت الآنسة سلفكارب «انتبه يا جيمس لا تدع بوني تأكل خارج الدولاب»

- «كلا يا سيدتي». وظهر حاملاً صينية مغطاة تبدو تحتها قطعة من الخبز اليابس وقدح من الماء ووضعها على المائدة ثم همس للآنسة بوني «لا تأكليها، فحين تخرج القطة العجوز من الغرفة سأجلب لك شيئاً افضل». وفعلاً بعد عشر دقائق عاد حاملا معه صينية

مغطاة بملابس لاخفائها وحين كشف الغطاء عنها ظهرت قطعتان لذيذتان من الخبز المحمر مع الصلصة وقطعتان من الحلوى والخضروات فهمس جيمس بصوت خفيض «لن تجوعي ما دمت انا هنا لاعتني بك». واكلت الطفلتان بنهم شديد. وعاد جيمس مرة اخرى حاملاً معه صحناً من الحلوى من نوع آخر واخذ معه صحون اللحم الفارغة مغطياً اياها بحذر شديد بالملابس قبل أن يخرج من الغرفة الى الممر. «اتمنى لو أعلم أين يقع الممر السري» قال بصوت منخفض «فقد كان (بروسن) الخادم العجوز يقول دائماً بان هناك ممراً داخلياً من هذه الغرفة وآخر يقود الى غرفة صنع الالبان (الملبنة) ولكن يا ترى هل باستطاعتنا ان نكد خيالنا في ايجاد الممر السري الى هنا، ويمكنك يا آنسة بوني أن تبحثي عنه هنا» «سنبدأ بالبحث حالاً» قالت بوني «وسيكون لهواً جميلاً لقتل الوقت» وفي اللحظة التي خرج فيها جيمس حاملاً معه بقايا الطعام والصحون بدأت الفتاتان بالبحث عن الممر السري في جدران الغرفة متحسستين كل بقعة منه. فاقترحت بوني «أنت يا سيلفيا ابدأي بالبحث قرب الباب وانا سأبحث قرب المدفأة

وبذلك سنكون قد فتشنا جانبين من الغرفة» لقد كانت غرفة كبيرة مغطاة بقواطع من الصوف الابيض ومزينة بأصص جميلة من الزهور الملونة بالازرق. وقد سحبتا ودفعتا وضغطتا بعناية فائقة كل الورود والمزهريات والاثاث الخشبية..... لكن من دون جدوى ومضت ساعة وساعتان وبدأ التعب يتسرب اليهما وشعرتا بان قصة الممر السري لابد أن تكون قصة خيالية ثم قالت سيلفيا لكننا لم نجرب البحث في داخل المدفأة يا بوني، هل تعتقدين انه من الممكن ان يكون أحد أجزاء المدفأة كاذباً او مزيفاً.

«فتاة ذكية وماهرة» قالت بوني محتضنة سيلفيا «هيا لنجربه حالاً كان رف المدفأة كبيراً وواسعاً ومرتباً بصورة جميلة برصّ بعض الاحجار الاجنبية ذات السطح الرصاصي الحريري. كانت جوانب المدفأة متمددة عدة أقدام من كل جهة لتشكل قاطعين اثنين عريضين.

وركضت الفتاتان وبدأتا تتحسسان المكان باصابعهما وحاولتا ازاحته باصابعهما، وفجأة أبدت سليفيا استغراباً عندما دفعت رأس الماعز الى احدى

الجهات، فانزاح القاطع جانباً نحو الجدار تاركاً فتحة مظلمة وكأنها باب ضيق. فتنفست بوني الصعداء وقالت «لقد وجدته يا سيلفيا يا لها من مزحة! هيا لنذهب فوراً لنرى الى أي مكان يقود هذا الممر؟» «سيلفيا انك اذكى مخلوقة في الدنيا! لا أعرف ما الذي كنت سأفعل!» لو لم تكوني معي لترافقيني. لم اكن لأتحمل هذا وحدي». كانت توشك أن تدخل الى الفتحة حين قالت سيلفيا «اليس من الضروري ان نأخذ معنا شمعات مضيئة فقد سمعت ان الهواء في مثل هذه الممرات غير المستعملة. قد يكون في بعض الاحيان خانقاً وثقيلاً» وبدأت باضاءة الشمعة، «اذا كانت لدينا شمعات فيجب أن نكون حذرتين في استعمالها الا في الوقت المناسب». «صحيح جداً... لم يخطر ذلك على بالي». قالت بوني راكضة نحو الدولاب الذي يحتوي على شمعدان بمقبضين فضيين وجلبت شمعتين لكل منهما ثم اضاءتهما، وانزلقتا بحذر شديد من خلال الفتحة الضيقة، وكانت القائدة هي بوني «يستحسن ان نغلق الممر خلفنا» قالت بوني «تخيلي لو أن الانسة سلفكارب تأتي الى غرفة الدرس وترى الممر مفتوحاً» ثم أردفت سيلفيا.

«ماذا لو لم نستطع فتحه من الداخل مرة اخرى؟»

«ربما بالامكان ان نترك خدشاً غير منظور على الجدار كأشارة» ولسوء الحظ تبين بان باب الممر يرتد من تلقاء نفسه بوساطة النابض وفي تلك الحظة لتي لمسته سيلفيا انغلق ببطء. كان مقبض الباب الصغير يبدو انه يوشك أن ينفتح من الداخل. لكن حين حاولت بوني بقليل من الجـزع دفعـه أفلت من يدهـا. فقالت «يا له من شيء غريب» وفـزعت سيلفيا من الفكرة التي تشد نفسيهما للحياة الا ان بوني همست «لايهم بالتأكيد ان الممر يجب أن ينتهي في مكان ما، اذا ما اغلقت الباب علينا، في الاقل انـه افضـل من ان نحبس من قبل الانسة سلفكارب» ومشيتا على رؤوس الاصابع خلال التراب الكثيف. كان الممر ضيقاً جداً يقود الى مجموعة من السلالم المنحدرة جداً، ولم يكن مظلمـاً جداً، فهنـا وهناك ينبعث شعاع خافت من ضوء النهار، وكانت بوني حين تنظر من تلك الفتحات قادرة على تمييز المكان الذي تمران منه، نحن الآن بجانب الصالة الكبيرة. «فانا استطيع ان أرى وسط الصالة الكبيرة وهذه هي معاطف الاسلحة والآن نحن نرى مخزن الاسلحة، وتلك صناديقها.... تصوري وجود

هذا الممر الذي لا أعلم به، اتمنى أن يكون امي وأبي موجودين في المنزل. يا له من وقت عظيم سيكون لدينا وسنكشف العديد من الاشياء المخفية. كما انه يجعلنا ننصت الى أحاديث الناس الخاصة». وهمست سليفيا «هل سيكون ذلك عملاً شريفاً؟» ربما يكون ذلك تصرفاً غير لائق مع أبي وامي. ولكن احب ان يكون التصرف بصورة مختلفة مع الآنسة سلفكارب أعني ان نستمع اليها ونرى كل ما تعمله» ثم حانت لهما فرصة لعمل ذلك، ففي الفتحة الاخرى كانتا تنظران الى المكتبة وحين وضعت بوني عينيها على الفتحة رأت المربية وقد دخلت في حوار عميق مع السيد (غرمشو) وكانا في النهاية البعيدة من الغرفة، وكان صوتهما بعيداً عن الاسماع ولكنهما سرعان ما اقتربا من الفتاتين المختبئتين وغير المنظورتين. «اوقد النار يا جوزيه» قالت الانسة سلفكارب والتي كانت تتفحص الاوراق الكبيرة «يجب أن تحرق هذه حالاً لقد نجحنا في ايجادها» وسمعت الطفلتان السيد (غرمشو) يتحدث وتبين بأنهما واقفان قرب المدفأة وان فتحة التجسّس هذه تقع في المدخنة. ومن المؤكد بأن هناك فتحة اخرى كبيرة في الممر السري

مشـابهـة لتلك الموجودة في غرفة الدرس ولكنهما كانتا حذرتين من عدم القيام بأي دفع للقاطع لعدم رغبتهما في رؤية اعدائهما وجهاً لوجه قالت الآنسة سلفكارب «خذ المنفاخ الكبير واشعله» وكانت تقرأ بحذر شديد «كم هو جيـد ان يكـون السيد ولوباي مهملاً بترك الوصية في المنزل بدلاً من الاحتفاظ بها مع السيد غريب، فقد وفّر ذلك لنا الكثير من المتاعب».

«نعم بالتأكيد» قال السيد غرمشو بارتياح «وهل هو كما توقعته هل ترك جميع الثروة للطفلة؟». «تقريباً كل شيء» قالت الآنسة سلفكارب بشفتين مزمومتين «هناك إرث بحـدود عشرين الف باون في السنـة لابنـة اخيه وبضع مئات اعترافاً وامتناناً لخدماتي وبضع مئات من البـاونان للخدم الذين يملأون البيت وذكر ايضاً اخته جين ابنة عمي البعيدة. ولا أدري هل تود ان تأتي وتحشر انفها وتثير المشاكل؟»

«لسنـا خائفـين» أجـاب السيد غرمشو. «لقد قمت بالاستفسار عنها حين كنت في لندن، وهي امرأة مسنة وغـير معـروفة والاكثر من ذلك فهي امرأة ضعيفة ولن تستمر في الحياة طويلاً. ولن تتدخل في ادارتنا للمنطقة».

«عظيم اذن سأحرق الوصية ها هي فلتذهب الى النار، عليك ان تبدأ بالعمل حالاً لتحرير وكتابة وصية اخرى تاركاً كل شيء لي... هل تمرنت على التوقيع بصورة جيدة؟»

قال السيد غرمشو:

«استطيع ان اؤديه بيدي اليسرى» ثم أضاف «لقد استنسختــه من كل وثيقــة في الغرفة» ثم سحب قطعة الورق نحوه وبدأ الكتابة ببطء وحذر، وفي الوقت نفسه كانت الانســة سلفكــارب تمزق وتحرق عدداً كبيراً من الوثائق «وكلما كانت شؤون مراسلاته وكتبه غير منظمة وغير مضبوطة... كان ذلك أحسن لنا» ثم اكملت «ان ذلك سيعطينا وقتاً كافياً لترتيب خطتنا». «أنت تبدين متأكدة من أن الاحداث ستأخذ مكاناً، ماذا لو أنه عاد بعد؟» «يا عزيزي يا جوزيه» قالت الآنسة سلفكارب وهي تعني ما تقول ومتأكدة منه أن الشخص الذي كلمته قال بأن حالة السفينة سيئة جداً وانها لا تتحمل سفرة اخرى، ولكن حتى اذا فشلت خطتنــا ماذا يعني ذلك؟» ان السيـد (ولوباي) لا يستطيع أن يعود قبل سنة من الآن وستكون لدينـا اشارة بعودته، ونستطيع بذلك ان نهرب واللجوء

بعدها الى احدى المستعمرات قبل أن يصل ولن يستطيع أحد أن يمسكنا»

«ومـاذا بشـأن الاطفال؟ ألن أتتركينهم هنا». «ليس طويـلاً، فهم يسـتـطيعـون الذهاب الى غريتردد» قالت الانسة سلفكارب «فهي تستطيع ان تقضي على ثرثرتهم، والآن لا تزعجني، يجب علي أن أحسب تفـاصيل هذه الخطة بدقة ومهارة» قالت ذلك وقد سحبت وثيقة اخرى وبدأت تدرسها بحذر ومشت الفتاتان حذرتين على رؤوس الاصابع، «بوني...» قالت سيلفيا بخوف بعد عدة دقائق حين توقعت انهما صارتا بعيدتين عن مسامع الاشخاص وأنظارهم في المكتبة «ماذا تعني الانسة سلفكارب حين قالت عن «الاحداث؟ ولماذا كانت تحرق وصية عمي؟»

- «أنا لست متأكدة من معرفتي» قالت بوني وقد كانت شاحبـة الوجه وحزينة لاكتشافها هذه الادلة الجديدة لدى الانسة سلفكارب لكنه واضح في أنها لاتعني سوى الحيلة والشر». ونظرت سيلفيا بصورة خائفة نحو ابنة عمها كان واضحاً في أن (بوني) لم تقتنع بهذا الموضوع لذا ظلت مستمرة على المشي بصمت مدة من الوقت، ثم وصلتا الى فتحة تجسسية اخرى وكانت تطل على الممر

فرأتـا نفسيهمـا أمام حائط اسود كبير، وبدا ان المر السري قد انتهى الى نهاية مغلقة. وشعرت (بوني) بأن قلبهـا سيتـوقف فقد كانت الشموع ضعيفة جداً. ثم سمعتا أصوات تكسر الصحون، وصوت (جيمس) وهو يغني اغنية قريباً منهما وكأنهما سيمسكانه وكان يغني «حين كنت امشي في الصباح طالباً السعادة، رأيت....»

- «دقي على الجدار» همست بوني لسيلفيا، وبدأت الطفلتان تدقان على القاطع بكل ما استطاعتا من قوة، وانقـطع الرجل عن الغناء «جيمس، جيمس هنا، هنا، خلف هذا القاطع، هل تستطيع أن تخرجنا؟»

- «يـا الهي... لقـد افزعتني يا آنسة». كان صوت جيمس «لقـد تصورت بانه جني او بعبع» ثم سمعتاه يتلمس بيديه على الجدار. ثم دقتا بارجلهما مرة اخرى لتعلماه أين هما. وفجأة جاءت فرقعة وانبعث ضوء لامع ضعيف ثم نسمة هواء باردة الى مكانهما السري.

- «كنت دائماً اتساءل في نفسي لماذا يوجد هذا القفل في الجـدار» قال جيمس «يا آلهي... ان مجرد التفكير بانكما وجدتما المخبأ السري هو البطولة عينها» وخرجت

الفتاتان لتجدا نفسيهما في الملبنة وهي غرفة ذات أرضية طابوقية وفيها رفوف خشبية وتحتوي على عدد من مغاسل المطبخ حيث كانت بعض من الصحون المغسولة، وكانت هناك على جهة اخرى باب خارجية تقود الى ساحة الاصطبل، واستطاعتا رؤية الثلج الابيض الساقط حديثاً، ويبدو أن هذا الممر ليس هناك وسيلة لفتحه من الداخل لذا فقد تركه (جيمس) مفتوحاً بصورة فنية واضعاً دولاب الصحون الكبير بطريقة تخفي مدخل الباب وعلق مجموعة من سروج الخيول وبعضاً من اغطية الاثاث لاخفاء المتبقي منه «والآن في الاقل ليست هناك حاجة لان يبقى أي شخص محجوز في الداخل» قالت بوني «والمزعج هو أننا لا نستطيع عمل أي شيء في غرفة الدرس كما يبدو غريباً أن الشخص الموجود في الممر يمكنه بسهولة الدق على القاطع وان أي شخص موجود في الغرفة يستطيع أن يفتح القاطع، ولذا استطيع ان أقول ان هذه الفتحة تجسسية». «هل تذهبين الى هناك مرة اخرى لتستطلعي» اقترحت سيلفيا وأنا «سأعود الى غرفة الدرس بواسطة السلّم لاخرجك من هناك» واتفقتا على ذلك، ومشت (سيلفيا) متفحصة كلما مرت من خلال

باب مفتوح وناظرة الى الساعة للتأكد من أنها لن تتأخر عن لقائهما مع باترن ولكن ما يزال هناك نصف ساعة باقية عن الوقت المحدد للقاء بهما. ولسوء الحظ، حين اقتربت من باب غرفة الدرس، رأت من بعيد الشبح الكئيب للانسة (سلفكارب) تقترب نحو الغرفة من الجهة الاخرى حاملة معها لفة من النسيج في يدها، وفزعت (سيلفيا) حين دخلت المربية قبلها الى الغرفة واضعة ما تحمله على المنضدة. ماذا لو أن (بوني) لم تميز وجود المربية في الغرفة هل ستكون لها القدرة على الدق على القاطع وتطلب اخراجها من الممر السري؟

- «والآن يا آنسة» قالت الانسة سلفكارب ببرود... ومنذ رحيل مستخدميها لم تكن مسرورة بحيث تعطف على أي من الطفلتين. «لأنني الآن منشغلة بنفسي لتعليمكما، فقد جلبت لكما مهمة حتى لا تكونا فارغتين بلا عمل. ان كل هذه المفارش تحتاج الى تصليح.. هيا الى العمل حالاً. واذا لم تنتهيا منها غداً فستكونان تحت تصرفي وخدمتي. اجعليها غرزات صغيرة ومرتبة. هل فهمت؟».

«نعم يا سيدتي» قالت وهي مضطربة محاولة ان

تجعل عينيها بعيدتين عن النظر اليها فاتجهت ببصرها نحو المدفأة.

ـ «كما أن لدي فكرة رائعة في جعل تلك الطفلة العنيدة تنجز هذا العمل وهي في الدولاب أيضاً» قالت الآنسة سلفكارب ومشت نحو باب الدولاب تتفحص مفتاحه مرة اخرى وشهقت سيلفيا بخوف «يا له من مأزق

فقد أعطت المفتاح لجيمس» وتنفست سليفيا نفسا طويلا عميقا مريحا «آنسة غرين» قالت المربية وهي تدق على باب الدولاب محذرة «أنا واثقة من انك نادمة من تصرفك العنيف». لم يكن هناك جواب من داخل الدولاب «ألاتزالين عنيدة راكبة رأسك لحد الآن» قالت ذلك الآنسة سلفكارب وهي تبتعد عن الدولاب» حسناً سيكون غداؤك اليوم خبزاً وماءًا كذلك. «فاذا اعتقدت بأن الموضوع قد انتهى فان الضوء في الدولاب لن يكون كافيا للسماح لها بتعديل الاغطية والبياضات. لم يكن ذلك اكثر من الحقيقة التي توقعتها سلبفيا، بالتأكيد فان الدولاب كان مظلماً جداً. وفي اللحظة التي كانت الآنسة سلفكارب في غرفة الدرس سمعت دقا عاليا صاخبا آتياً من داخل المدفأة وركضت (سليفيا) نحو المدفأة وقد لفها

الخوف وشحب لونها وبدأت برمي الحطب بقوة في داخلها وبطقطقة عالية متظاهرة بأنها تعدل وتسوي كَسرَ الحطب في النار وتوقعت المربية لحظة وقد ساورها الشك « ماهذا الصوت؟» قالت المربية بصوت فظ غليظ، «صوت؟ أي صوت ياسيدتي؟» تساءلت سليفيا ببراءة قالت المربية :

- «صوت دق كانه آت من الجدار».

- «انه الصوت الناجم عن الحطب الذي وقع في المدفأة يا آنسة سلفكارب»

قالت ذلك سليفيا، وبنبرة واضحة عالية وهي تطقطق على حديد المدفأة وبأقوى مايمكن وبدت الآنسة سلفكارب مقتنعة بالكلام فخرجت من الغرفة بعد أن القت نظرة حول جوانب الغرفة للتأكد من أن (جيمس) قد نفذ أوامرها في رفع كل العاب الاطفال. ولحسن الحظ كان (جيمس) قد رفعها وظهرت الغرفة فارغة من الالعاب المرحة والجميلة، ولكن (سلفيا) طمأنت نفسها بأنه سيأتي اليوم الذي يعود فيه تجميع المخازن المخبأة في الكوة المنزوية.

وفي اللحظة التي خرجت الآنسة (سلفكارب) بأمان،

ركضت سلفيا نحو (القاطع السري) وبيدين مرتجفتين ضغطت على رأس المعزة متمنية ان تتذكر كيفية فتح القاطع ولارتياحها الشديد فان القاطع الحجري انفتح وخرجت (بوني) سوداء اللون يغطيها التراب شعثاء الشعر تطلق ضحكات مرحة لانتصارها واحتضنت سليفيا. «اوه.. أليس ذلك مرحا جميلا ياله من صرير رفيع وضعيف، لقد اعتقدت باننا وحدنا في الغرفة لانكما لم تتكلما بضع دقائق لذلك فقد دققت على الجدار أليس ذلك مثيرا؟ اليس هناك فتحة سرية في الغرفة؟ فأن أول فتحة تطل على السلم الصاعد ولكن من الممكن سماع الاصوات الخارجة من الممر حين يكون هناك شخص يتكلم. كم كان رحمة وذكاء منك في الهرج والمرج ياسليفيا!»

الفصل السادس

في الساعة الثانية تسللت الفتاتان خلسة نحو غرفة الملابس الزرقاء ولحسن الحظ كانت هذه الغرفة في الجناح البعيد من البيت الكبير والذي لما تمر منه الانسة سلفكارب لحد الآن. كانت (باترن) موجودة في الغرفة وحيتهما بالاحضان والدموع. «اوه ياآنسة بوني ويا آنسة سليفيا ياعزيزتيّ ما الذي يحصل لنا هنا في هذه البيت؟ ماأود معرفته ماذا يجري لنا مع تلك المرأة الشريرة المسؤولة عن المنزل»

«ســنكــون على مايــرام» قالت بوني بجــزم «فهي لاتستــطيــعْ عمل أي شيء مرعب ورهيب لنا. ولكن اوه ياپاترن وماذا بشأنك؟ سترسلك الى السجن اذا ماراتك هنا»

ـ «لن تستطيع أن تمسك بي» قالت پاترن بكل ثقة «فقـد اختفيت ملتصقة بباب غرفة التفاح حين طردت بقية الخدم وقد ابقيت نفسي في الكوة المنزوية الجنو بية في الطابق الرابع قوية كما تودين. ان الآنسة سلفكارب لن تستــطيــع الوصــول الى هنــا. فانا اؤكد ذلك لك. وســأبستطيع التسلل من هناك وان أساعدك في ارتداء ملابسـك ووضعـك في السريــر والاعتنــاء بما يخصك ياصغيرتي العزيزة. اوه يجب أن أعيش لأرى اليوم الذي تسقط فيه هذ.ه الشريرة»

ـ «ولكن كيف ستعيشــين ياباــترن؟» بدأت (بوني) الحديث. وهنا جاء جيمس مسرعا وبهدوء قال «ياله من لهو!» أنَ القطةِ العجوز اوشكت ان تمسكني فقد لقيتها وجها لوجه في الصالة الطويلة وسألتني ما الذي افعله هنا فاجبتها وانا ارتجف «كنت ذاهبا لارى هل أن جميع الشبابيك مغلقة في الليل فقالت« نعم ذلك صحيح وجيد

منك فنحن لانريد خدما سارقين اثناء الليل »

«سرقة» أود أن أعلم من هي تلك التي تعتقد ذلك بنفسها!»

«نعم» اخبرته الفتاتان عما تنوي باترن أن تفعله وقد ايدها جيمس بكل سرور والرضا يملأ قلبه «فأنا لااثق بالآنسة سلفكارب اطلاقا فهي تجوع الفتاتين وتدفعهما لعمل شيء قد لانعلمه، فان لم نكن نحن هنا لمراقبتها فقد يسوء الامر» قال جيمس «وانا سأعتني بوجبات طعامهما ياآنسة پاترن وأنت ترين بنفسك بانهما مدللتان ومعتنى بهما. ولكن ياعزيزتي بوني أرى من الافضل ان تكتبي لمحامي والدك أولاً وتعلميه مفصلا بالذي يحدث هنا»

- «ولكني لاأعرف عنوانه ياجيمس». «اوه ذلك مزعج» قال جيمس حاكاً رأسه «لمن اذن ستكتبين؟». «مارأيك بالعمة جين؟» اقترحت بوني ذلك على سليفيا «فهي بالتأكيد تعرف عنوان السيد غريب، فقد سمعت والدي يقول بان السيد غرب هو المسؤول عن اموالهما». «نعم، نعم» قالت سليفيا بشك «ولكن العمة امرأة ضعيفة وكبيرة السن، وأخاف ان تكون هذه الاخبار وبالا عليها فقد تسبب لها المرض والوجع ثم انها تسكن الأن

وحدها».

«كلا فأنت على حق» قالت بوني مقرة ومعترفة بذلك «لم يخطرْ هذا الامر على بالي سنكتب الى الدكتور مورن. فقد وعد بأن يأتي بين حين وحين وعلى أي حال فليس هناك اي شيء غريب للاستفسار عنه. وبالتأكيد هو يعلم عنوان السيد غريب في لندن». «او قد يستطيع جلب السجلات وبذلك توضع الآنسة سلفكارب في السجن» قال بكل اعجاب «ان ذلك بطولة وعمل رائع منك يا آنسة بوني. أنت تكتبين الرسالة وانا سأوصلها لك حين تسنح لي الفرصة» «سأنتظر عدة أيام» اقترحت بوني «وذلك حتى لانثير شكوك الانسة سلفكارب وسأتظاهر باصابتي بالم السن». وسمع جيمس صوت جرس بعيد فركض وقال «هناك، هاهي القطة - العجوز تنادي لشيء ما، يجب ان اسرع، سأكون في غرفة الدرس بين حين وأخر لاحضر لكما العشاء» ثم هرول مبتعدا وبقيت الفتاتان مع پاترن وكانتا تخبرانها كيف اكتشفتا الممر السري المؤدي الى الفتحة المخفية، وكانت فرحة بذلك.

بامكاني أن آتي لكما لاستبدال ملابسكما بغية غسلها وكيها»

قالت پاترن «يالها من رحمة الهية.»

«يجب ان تأخـذي حذرك فقط في الدق على القاطع حتى تكوني متأكدة من أن الآنسة (سلفكارب) ليست في الغرفة». قالت (بوني) تعقب على أقوال (پاترن)

- «وبأي حال من الاحوال اننا لنتمنى ان لا نحتاج الى وقت طويل. فأن الدكتور مورن سيسوّي الامور معها حين نخبره عن الذي يحصل هنا... آه! ها هي ساعة الاصطبل تدق يا سيلفيا» قالت بوني «اعتقد اننا يجب أن نعـود الى غرفـة الدرس حتى يأتي جيمس بسرعـة ويخرجني من الدولاب بسرعة، فسيكون الامر صعباً اذا ما أتت معه الآنسة سلفكارب لتجدني غير موجودة هناك في (الدولاب)» وخلال الاسابيع القليلة التي أعقبت هذه الاحداث اعتادت الفتاتان هذه الحياة الغريبة الجديدة، فاصبحتا لا تريان الآنسة سلفكارب ولا السيد غرمشو إلا قليلا حيث كان هذان الشخصان منشغلين باكتشاف وتدبير ما سيفعلانه في ممتلكات السيد ولوباي.

فليس لديهما الوقت الكافي للاطفال. وكان جيمس وپاترن يعتنيان بالفتاتين ويجلبان لهما الطعام ويحميانهما من محاولة الاتصال مع بقية الخدم الذين كانوا على شيء من

القساوة ومزعجين كثيراً. وفي معظم الاحيان بدا المخبأ السري ناجحاً وعملياً حين كانت الانسة سلفكارب تقترب من غرفة الدرس في زياراتها التفقدية اليومية. وأما باترن فهي منشغلة في اداء الخدمة للطفلتين كان هناك القليل من العمل فأحياناً تجازف الفتاتان في الذهاب الى التزلج اذ أن الجـو الثلجي القارس البرد ابقاهما قرب المنزل ولكن في أحد الايام وجد براون سائس الخيل بوني تبكي حين وجدت الاصطبل الحاوي على مهرها العزيز خالياً منه، فهمس في اذنيها قائلاً بأنه لم يبع المهر، انه فقط اخذه بعيداً الى احدى مزارع المقاطعات، وحين يتحسن الجـو فبامكانهم الذهاب بنزهة مع المهر. لقد أسعدت بوني هذه الاخبار اذ ان خسارة مهرها (ڤيدر) الجديد الذي جلبه والدها الى سيلفيا على قمة الاشياء التي لم تكن بوني تتحملها.

واخيراً قررت الكتابة الى الدكتور (مورن) من دون تردد. ففي احد الايام لفت وجهها بفوطة تشكو ألماً. وفي المساء ذهبت الى الكوة المنزوية حيث كانت هناك طاولتها مخبأة وكتبت ملاحظة بأجود ما يكون خطها وبمساعدة سيلفيا:

الطبيب العزيز:

هل بامكـانك التفضل بالقدوم لرؤيتنا؟ نحن نعتقد بأن ما يحـدث هنـا لا يريـح والدي ونحن لا نستطيع الكتـابة وهو في السفينة فلقد طردت الانسة سلفكارب وهي (مـربيتنـا الشريرة) الجيدين الطيبين من الخدم وأبقت لنفسها الخادم (تايرنت) وهي ترتدي ملابس امي ويسـاعـدهـا السيد غرمشو وهما يحتسيان الخمر أو الشمبانيا كل يوم.

المخلصتان

بوني غرين ـ سيلفيا غرين

وهكـذا في الصباح التالي حين أعطت بوني لجيمس هذه الرسـالة المكتـوبة حدث شيء مفزع! فحين كانت الرسـالة في يد جيمس قابلتـه الانسة سلفكارب والتي كانت تظهر دائماً في الاوقات غير المرغوب فيها. وسقطت نظراتهـا الحادة على الرسالة «ما هذا الذي في يدك يا جيمس؟» قالت المربية فاجابها متلعثماً «اصيبت الآنسة بوني بألم في سنهـا فكتبت هذه الرسـالة الى الدكتـور (مورن) تطلب فيها اذا كان بامكانه ارسال دواء لها». «آه ولكن هناك صندوق أدوية كبير في المكتبة. فأنا اريد

ان انتقل الى مكان اخر يا جيمس، تعال وانظر اليه قبل ان تسلم الرسالة». فتبعها جيمس ساخطاً «ضع هذه الرسالة على الطاولة» قالت ورمقت (غرمشو) الذي كان في المكتبة بنظرة ذات مغزى، وحين كان جيمس يحاول ان يضع صندوقاً كبيراً في المكان الذي عينته الانسة سلفكارب مصدرة سلسلة من التعليمات المتناقضة، نظر السيد غرمشو باتجاه الرسالة وبقابليته الكبيرة على تقليد الخط اليدوي كتب العنوان على ظرف صغير يحتوي على ورقة بيضاء في داخله. وحين عاد جيمس بعد لحظة كان غرمشو قد بدّل الرسالة بالاخرى. فقالت الآنسة سلفكارب «ها نحن قد انتهينا لا تتأخر واسرع لا تتخلف في الطريق، او تتوقف لتشرب مع طباخ الدكتور اي شيء». وفي اللحظة التي خرج فيها جيمس من الغرفة فتحت الرسالة وارتفع حاجباها حين كانت تقرأها فقالت «يجب ان نعالج هذه الحالة ويجب علي ان اتخلص من هاتين الفتاتين من دون اي تأخير». واعطت الرسالة الى السيد (غرمشو) وقال متعجباً «يا لهما من فتاتين وقحتين! فأنت على حق فلا يجوز ان نبقيهما مدة اطول». «متى سنذهب بهما» «هذه الليلة؟» أومأ برأسه متسائلاً. ركض جيمس

بسرعـة وأعـدّ احـد خيـول العربة الذي كان باقياً في الاصـطبـل وحـزّم نفسه بزوج من المسدسات ووضع الآخر في حزامه وانطلق بحصانه الى محل اقامة الدكتور (مورن) الذي كان يبعد بمسافة ٥ أميال عن الساحة. ولسوء الحظ حين وصل المكان اكتشف بان الدكتور قد استدعي من المنزل لوجود حالة طارئة (حريق في مدينة (بـلاستبرن) حيث اصيب عدد من الاشخاص). وقد يكـون من غير المتـوقع عودته في تلك الليلة. ولم يجرؤ جيمس في ابقاء الرسالة مع انه كان مصمماً ان يوصل رسـالتها الى الدكتور بنفسه ويخبره بالاحداث السيئة التي تجري في المصيدة. فلم يستطع عمل شيء الا ان يسلّم الرسـالة الى مديـر منزل الدكتور مخبراً إياه في ضرورة زيـارة الآنسـة بوني بالسرعـة الممكنة ثم سلك طريقه عائداً الى المنزل. وفي الطريق طارده ذئب مما جعل حصانه يقفز ويرفس من الخوف، واستطاع جيمس ان يطلق عياراً نارياً في وسط الذئاب التي عادت الى مكانها تبحث عن فريسة اخرى. وكان المساء يمر بطيئاً بالنسبة للطفلتـين اللتـين عملتا جهديهما لانجاز مهمة تصليح المفـارش، ولم تكن (بـوني) محبـوسـة ولكن الانسـة

سلفكارب أصرت بانها ما تزال مغضوباً عليها. ولا تتكلم معها وتنظر اليها نظرات باردة... وحين سمعت الفتاتان وقع حوافر الحصان، ركضتا نحو الشباك في وقت واحد وفي تلك اللحظة دخلت المربية وصاحت بغضب وعصبية بالفتاتين «عودا الى عملكما بسرعة. من تتوقعان رؤيته؟ اجيبا بسرعة!»

«اعتقـدت، انـه... نحن لا نتوقع...» قالت سليفيا بخوف «انه جيمس عاد من رحلته» «هكذا اذن!» قالت الانسـة سلفكارب وقد رمقتهما بنظرة غريبة، ثم تركت الغـرفـة بعـد أن علقت بصورة غير لطيفة على اعمال التصليح وعادت الى المكتبة ودقت الجرس منادية جيمس مصـدرة اوامـر استغرب لها «العربة» قال حاكاً رأسه ومكلماً نفسه» ما الذي تريده من العربة في مثل هذا الوقت!».

وصـار الوقت غسقاً ثم حل المساء وجاء وقت النوم وكانت الطفلتان قد تركتا الخياطة جالستين على السجادة مكتوفتي اليدين وبصمت حزين مطبق تنظران الى قطع الفحم المشتعل في المدفـأة والذي كان يبعث الضوء الوحيد الخافت في الغرفة الفارغة. «لقد تأخر الوقت وانا

خائفة من ان الدكتور مورن لن يحضر هذا اليوم». قالت بوني بحـزن وألم. ثم كان هناك دق خفيف على المخبأ السري، فقفزت سليفيا من مكانها «باترن، انها باترن» وركضت نحوها وضغطت على القاطع وخرجت (پاترن) من هنـاك حاملة صينيـة تحتوي على صحنين فضيين احدهما يحتوي على الخبز. والحليب وبجانبه صحن آخر من الكعك المحلى بالخوخ «ها هو عشاؤكما يا صغيرتي... كلا الطعـام ما دام ساخنـاً وانا سأدفىء لكما الفراش والاغـطية. شكراً لوجود (پاترن) المستمر هنا لترعاكما حتى لا تذهبا الى الفراش البارد وانتما خائفتان». وحين أنهت الفتـاتان آخر لقمة من الطعام البستهما ملابس النـوم، وتأكدت من انهما في الفراش. «والآن يا بطتَّي العزيزتين احلاماً هنيئة رعاكما الله» قالت باترن مقبلة كلاًّ منهما. وفي تلك اللحظة سمعن وقع اقدام سلفكارب الثقيلة قادمة نحو الممر. «يا الهي لي» قالت پاترن وقد سحبت الصينية ودخلت الى الممر السري. وفي اللحظة التي اغلقت فيهـا (پـاتـرن) القـاطع، دخلت الانسـة سلفكارب من الباب الاخر، حاملة معها المصباح. «هل دخلتمـا الفراش حقاً؟» قالت المربية بصوت أجش غير

مريح. وتعجبت الطفلتان من اسلوبها.. ما الخطأ الذي اقترفتاه لتعاملهما بمثل هذه المعاملة السيئة والشريرة...؟

ـ«حسناً يجب أن تنهضا حالاً مرة اخرى» قالت وهي تضع المصباح على منضدة الملابس «هيا انهضا وغيرا ملابسكما فأنتما ذاهبتان في رحلة».

«رحلة؟» نظرت الطفلتان الواحدة في وجه الاخرى... فهما لا تستطيعان مناقشة الموضوع مع الآنسة سلفكارب، فقد بقيت في الغرفة تبحث وتخرج ملابسهما، وقررت ما الذي ستأخذانه معهما. ولاحظت سليفيا بأنها كانت تضع أعتق واقدم الملابس في عقد صغيرة ولم تضع لسليفيا أياً من الملابس الجديدة التي صنعتها لها (پاترن) لكن فقط تلك التي صنعتها العمة جين من الستائر البيض.

ـ«الى أين نحن ذاهبتان يا انسة سلفكارب» تساءلت سليفيا. ولم تكن بوني ترتاح للمربية لذلك لم توجه اي كلام اليها الا اذا اضطرت الى ذلك.

ـ«الى المدرسة» قالت الآنسة سلفكارب. «الى المدرسة!

ولكنك لن تدرسينا في مثل هذا الوقت يا سيدتي» . فاجابت المربية بحدة «ليس لدي الوقت الكافي» ان شؤون المقاطعة في وضع سيء لذلك سيستغرق مني وقتاً طويلا لتحسينه لذا ستذهبان الى مدرسة أحد اصدقائي في بلاستبرن»

-«ولكن أبي وامي لايرضيان بمثل هذه الاعمال» قالت بوني بكبرياء عالية

-«سواء سيرضيان أم لا فليس ذلك مهماً يا أيتها الفتاة الصغيرة»

- «لماذا تقولين هذا» قالت بوني بحزن كبير. فأجابتها الآنسة سلفكارب «لأن لدي رسالة هذا المساء تقول بان (بتسلي) السفينة التي أبحر فيها والداك قد غرقت في الساحل الاسباني، وأنتِ الآن يتيمة يا آنسة غرين مثل ابنة عمك، ومن الآن فصاعداً أنا الوحيدة التي اتولى شؤونك . فانا الآن الوصية عليك». وصرخت (بوني) صرخة حادة مفعمة بالألم «ابي! امي!» ثم ارتمت على الكرسي ترتجف واخفت وجهها بين يديها. ونظرت الآنسة (سلفكارب) اليها نظرة انتصار وتركت الغرفة حاملة معها الحقيبة قائلة:

-«لتكونا جاهزتين في عشر دقائق». وفي اللحظة التي خرجت الآنسة سلفكارب من الغرفة وقفت (بوني) قائلة «هذا ليس صحيحاً!! لايمكن ان يكون ذلك انها تدعي وتزعم ذلك فقط لتغيظني ولكن، آه....!» بكت (بوني) وانهمرت دموعها وصارت تهذي «ماذا لو كان هذا الكلام حقيقة يا سليفيا؟ هل يمكن ان يكون صحيحاً؟» كيف ومن أين لسليفيا الصغيرة الفقيرة أن تخبرها؟ ولكنها حاولت تهدئتها مطمئنة اياها في آن ذلك حتماً كذب وافتراء وهراء ولكن طيلة الوقت كان هناك شك يساور قلب سليفيا. اذا لم يكن والدا (بوني) موجودين فان من يحميها وتعتمد عليه قد ذهب!! وخطر ببالها الحزين السيد (ولوباي) الطيب والسيدة (غرين) الرقيقة وبعد كل ذلك لمن ستعودان؟ ومن المسؤول عنهما؟ وقبل ان تنتهي بضع دقائق عادت الانسة سلفكارب لتأخذهما وبنظرة حادة أجبرتهما على الهبوط على السلالم وخلال الباب الخلفي الى ساحة الاصطبل الى حيث كانت العربة تنتظرهما هناك وكانت الخيول تضرب بحوافرها وتزفر في جو الليل البارد وحاولت الفتاتان المتعبتان جاهدتين أن تقاوما السيد (غرمشو) الذي كان واقفاً هناك ليحمل كل

واحـدة منهمـا الى داخـل العـربـة لتأخذهما الانسة سلفكـارب وتجلس بينهمـا. «حسنـاً، سفرة سعيدة يا سيدتي» قال السيد غرمشو بسعادة «حاولي ان لا تجعلي للذئاب مجالاً للاقتراب منكم ها ها ها». «أود ان أرى الذئب الذي يستطيع ان يصارعني» ضحكت الانسة سلفكارب ثم أشارت الى جيمس الجالس على الصندوق قائلة «بـامكانك ان تبدأ يا سيد» وخرجوا من الساحة وبسرعة كانوا يشقون الظلام ويجتازون المناطق الثلجية للساحة. وكانوا قد ساروا مسافة ميل حين رأوا نور عربة اخرى قادمة نحوهم وتوقفت حين وصلت بقربهم فقال (جيمس) «انـه الدكتـور يا سيـدتي». «أيتها الفتاتان الصغـيرتان» قالت المربية بحدة وبانت في عينيها نظرة حادة جداً مما جعلتهما ترتعشان في مكانيهما «أن أية كلمة من أي منكما، ستجعلني احاسبكما حساباً عسيراً تذكـرا في انكمـا ذاهبتان الى مكان ليس له اية علاقة بالانسة غرين مسؤولة مصيدة ولوباي ستبقيان طول النهار في مخزن الفحم ولن ينتبه اليكما أي أحد اذا ما اخترت لكما ذلك فالافضل لكما ان تسكتا ولا أريد ان يصدر منكا اي صوت حين اتكلم مع الدكتور»

قال الدكتور «هل هذه أنت يا انسة سلفكارب؟».

«دكتور سارتن؟» «ما الذي أتى بك في مثل هذا الوقت من الليل؟» تظاهرت بالاهتمام ونطقت بكلام كاذب.

ـ تسلمت رسالة غريبة يا سيدتي، غريبة جداً. كانت ورقة صغيرة تحتوي على رسالة استدعاء مستعجلة حول المصيدة، هل هناك شخص لا يستطيع الكتابة» «اوه! اوه يا دكتور!» قالت سلفكارب برقة مصطنعة «لابد انها احدى مداعبات الاطفال فقد كانتا وقحتين وشقيتين ومرحتين». وقرصت كل من الطفلتين اللتين كانتا بجانبها «فليس هناك اي شخص مريض في المصيدة وانا اعتذر في انك قد استدعيت الى لا شيء... دعني اعطيك عشرة جنيهات بدلاً من الخمسة الاعتيادية». وكان هناك صوت القطع المعدنية حين انحنت من كرسي العربة وأرت الدكتور ما تحتويه العربة، فقال غير مقتنع بذلك «انه شيء غريب فلا يمكن لبوني أن تقوم بمثل هذه الاعمال. لابد ان يكون هناك خطأ ما. فانا لا انزعج من أن استدعى خطأ. على كل حال ان ذلك لطف منك يا سيدتي». واستمر يهمهم مع نفسه ثم استدار نحو الخيول وقد سمحت له الآنسة سلفكارب بالمرور قبلها،

وامـرت جيمس بان يسـير باقصى سرعـة ممكنـة نحو (بلاسترن) ومرت بقية الرحلة بهدوء. وقد كانت الفتاتان حزينتـين لفشـل خطتهما. وكانت (بوني) تشعر بحزن مرير حول الاخبار التي سمعتها عن والديها وحاولت جاهدة ان تسيطر على نفسها، الا ان دموعها انهمرت من جفنيها، وكل ما فعلته انها استمرت تبكي بهدوء وعرفت سليفيا بذلك ولم تستطع تهدئتها إذ ان الحاجز الكبير (الانسة سلفكارب) كان بينهما.

وقبل نهاية الطريق بوقت طويل كانت اطراف الفتاتين قد تجمـدت من البـرد وخاصة اقدامهما التي صارت كانهـا قطع من الجليد، اذ كانت المربية سلفكارب قد اخذت جميع الفرو الموجود في العربة ولفته حول قدميها ولم يبق أي شيء للاطفال. ومن شدة البرد لم تستطيعا النـوم، وصارت امنيتهما ان تهاجمهم الذئاب فسمعتا هناك صوت عواء بعيداً جداً ولم يقترب اي واحد منهما من طريق العربة. ويبدو ان الانسة (سلفكارب) محقة في قولهـا بأن الذئـاب تخاف منها، واخيراً.. اقتربوا من المصابيح الكبيرة التابعة لبلاستبرن. حيث كانت هناك بقايا البراكين الكبيرة منتصبة مثل الهرم الاسود امام

السماء الحمراء. ومشوا خلال مدينة سوداء يتطاير منها دخان الفحم حيث يبدو اناسها يعملون طوال الليل. فقد كانت في الشوارع جلبة وأصوات على الرغم من أن الوقت كان متآخراً ثم اقتربوا من شارع مظلم في ابعد نقطة من المنطقة ونزلت المربية اولاً فسنح وقت لسليفيا ان تقفز بسرعة نحو جيمس وحين رفعها قالت له «ستخبر باترن أين ذهبنا نحن اليس كذلك يا جيمس؟ وستقلق علينا» وحاولت ان ترى ايماءة جيمس قبل أن تدفعهما المربية نحو طريق حجري يؤدي الى الباب الامامي لبيت عالٍ ومظلم.

وقرعت الجرس الذي كان رنينه عالياً يسمع من بعيد قوياً ومستمراً ثم إنفتح ، الباب بسرعة.

الفصل السابع

وانفتح الباب من قبل طفل ضعيف قذر المظهر ذي وجه حزين يرتدي قميصاً بجيب واحد امامي لونه أبيض خيط على شكل رقم (٦) ولم تكن سليفيا وبوني متأكدتين فيما اذا كان الطفل ولداً او بنتاً حتى قالت الانسة سلفكارب «هذه أنت يا لوسي؟ أين السيدة برسكت؟».

«هنا تفضلي يا آنسة» قالت (لوسي) بصوت يرتعش خوفاً. وفتحت الباب عن أحد الممرات المؤدية الى الصالة، ثم دخلت الآنسة (سلفكارب) وأدرات رأسها نحو الفتاتين

قائلة لهما:ـ

«انتظرا هنا بلا كلام أو حركة» ثم سمعناها من خلف الباب «هذه أنا» ان خططنا تسير على ما يرام وبصورة ممتــازة» ثم أغلق أحــدهم الباب ولم تستطع الفتاتان سمــاع أو إدراك أي شيء بعــد ذلك. ونـظرت الفتــاة الصغيرة الى وجه (بوني) و (سليفيا) وصارت تتفحصهما وهي تضع اصبعها في فمها قبل ان تأخذ مكنسة أطول منهما بقليل وبدأت تمسح الارض. «هل انتما طالبتان هنا؟ تساءلت لوسي بفضول.

ولكن لماذا كان شعرها مقصوصاً بشكل قصير جداً، حتى أقصر من شعــر الصبيان؟ ولماذا كانت هي التي تقوم بأعمال المنزل؟» «صه» همست لوسي وهي تحملق بعينيهـا الخائفتين نحو الباب المغلق «ستقتلني اذا ما سمعتني أتكلم».

«من» قالت بوني «إنها هي السيدة برسكت».

ونـظرت (بـوني) نحـوها وكأنها تريد ان تسأل أسئلة اخــرى، ولكن سليفيا اسكتتها غير راغبة في أن تضع (لوسي) بمشــاكـل كثيرة قد تؤذيها. ثم استدارت لوسي منصرفة عنها وعادت الى عملها تمسح طبقة من التراب

غطت أرضية الصالة المظلمة. وفجأة شعرت (سليفيا) بانهما مراقبتان ووضعت عينيها لتشاهد شخصا واقفا هناك في أعلى السلّم المظلم ناظراً اليها، وحين التقت العيون نزل هذا الشخص ببطء نحوهما. كان هذا الشخص فتاة في حوالي الخامسة عشرة من عمرها طويلة ونحيفة البنية ذات وجه جميل شاحب بملامح حادة. وكانت تمشي بقرب العمود مرتدية ملابس ثرية جدا مصنوعة من القطيفة وتضع سترة من الفرو على كتفيها وقد تزينت بالعديد من الحلي، كما كانت تحمل معها زوجاً من احذية التزلج الفضية. ومشت نحو بوني وسليفيا تنظر اليهما ببرود وبعينين جامدتين، ولم يبد عليها اي تعبير ودّي أو علامة ترحيب. ونظرت اليها بتعال تنقل نظراتها من الاعلى الى الاسفل، ثم وبحركة مفاجئة سحبت قبعة سليفيا المصنوعة من الفرو الأبيض وجربتها على رأسها وكانت صغيرة جداً «أم...» قالت ببرود.... «يا له من ازعاج انت صغيرة جداً ورمت القبعة على الارض بازدراء وفتحت سليفيا فمها بسخط وان سلوكها مزعج ويثير اي انسان حتى ولو كانت فتاة مؤدبة وذات طبع هادىء مثل (سليفيا) وكان من الطبيعي أن

تعتــرض على ما جرى وعــلى ماالاحــظته في وجه الفتاة المتعجـرفــة من نظرات تحذرها من الاعتراض وتنذرها بوجوب السكوت على هذه المعاملة. ومن دون أن تنبس ببنت شفة رفعت سليفيا قبعتها البيضاء من الارض وهي تمسحها. اذ أن الغبار قد كساها من الارض. ووقفت تنفض الغبار منها وتنظفها، في حين كانت الفتاة تقول للوسي:

ـ«هـل والدتي هناك؟» فأجابت لوسي «نعم يا آنسة (ديـانا) وهي الآن تتكلم مع الانسة سلفكارب».. «اوه تكلم تلك المرأة الثرثارة العجوز». ثم دفعت الباب وفتحته وسمعتاها تقول» اماه... أنا خارجة... فهناك حفلة ترلج طوال الليل على النهر, اعطني خمسة جنيهات»

وظهرت مرة اخرى في الغرفة وصوت القطع المعدنية تطقـطق في يديها. واستدارت نحوهما قائلة «اذا كانت احـدى الفتــاتــين الجديدتين تصلح الملابس جيداً... فدعوها تخيط معطفي الحريري الجديد فقد تمزق». ثم سارت بغطرسة ومرت بجانبيهما وخرجت بعد أن اغلقت الباب الامامي بشدة وعنف.

وأشارت الانسة سلفكارب لبوني وسليفيا أن تسمعا

التعليمات الجديدة بعناية وتفهم. وفي الوقت الذي رأتاها عرفتا بأن هذه السيدة هي التي كانت تقود العربة قرب حدود مصيدة ولوبـاي فقد كانت امرأة طويلة ممتلئة مرتدية ملابس خفيفة، وكانت في أصابع يديها الكبيرتين خواتم ماسية مع الاحمر والاصفر من الياقوت والعقيق وقد ألقت على الطفلتين نظرات جامدة غير مريحة. وكانت عيناهـا ملونتـين كالاحجـار الموجودة في حلقات يديها وصفراء كعيني النمر. وكانت تبدو وكأنها ذات طبع سيء «هاتان هما الفتاتان يا غرتوود» قالت الانسة سلفكارب «تلك هي» مشيرة الى سليفيا «فهي مطيعة على الرغم من انهـا كسـولة من قبـل ان تتمارض «وهذه» مشيرة الى (بوني) العنيدة والتي لايمكن ترويضها وستحتاج الى مراقبة مستمرة» «كلا أنا لست كذلك» قالت بوني

ـ«هي ليست كذلك» قالت المربية وهي تنقل نظراتها من بوني الى سليفيـا ولكن. السيـدة (برسكت) نظرت اليهما متفحصة بتلك العينين الصفراوين «لاتتكلما قبل ان تسألا ويتكلم اليكما في هذا البيت يا صغيرتي» وقد يكون عقابكما منعكما عن العشاء. فكفا عن مثل هذا التصرف».

وسكتت الفتاتـان ولكنّ عيني بوني توهجتا بحرارة الانفعال الشديد، واستمرت الانسة سلفكارب تتكلم مع السيدة برسكت وكـأنهمـا لم تقاطعا من كلامهما ان الفتاتين وكما ترين قد أفسدهما الدلال الى حد كبير».

فقالت السيدة برسكت «ستريان ان هذا الكلام الفارغ غير موجود هنا» ونهضت الآنسة سلفكارب قائلة «سأترك الفتاتين في أيدٍ أمينة يا غربتروود، فانا الآن منشغلة جداً كما تعلمين ولكن اتمنى ان تكون المرة القادمة التي سنلتقي بها في زيارتك لنا. فقد ساعدتني في المـاضي وسأكون انا في موقع مناسب اساعدك فيه» وحين فاهت بآخر هذه الكلمات كانت تعني ما تقول.... والتقت عيون بوني وسليفيا. هل ان نية الانسة سلفكارب ان تستولي على ممتلكات مصيدة ولوباي كلها؟ وشعرت بالحزن يسيطر عليها، ولكن بوني أمسكت بيديها تخفف ألمها.

وأوصلت السيدة برسكت الانسة سلفكارب الى الخارج ورأتها تركب العربة، وحين توارت العربة عن الانظار وحين خف صوت حوافر الخيل وحين خفت ضوء مصباحها كانت العربة قد اختفت، وعادت السيدة الى

الطفلتـين وقـالت لهمـا «ليس لدينا اسماء هنا. فأنت (مشيرة الى سليفيا) ستكونين رقم (٩٨) وأنت مشيرة الى بوني) ستكونين رقم (٩٩) هيا بنا نسير. فالجميع ذهبوا الى الفراش منذ زمن طويل ما عدا العمال التسعة».

وقـادتهمـا من خلال الصـالة حيث كانت الفتـاة الصغيرة لوسي تكنس الارض بسرعة حين ظهرت السيدة برسكت على الرغم من انه كان واضحاً لاتود العمل فقد كانت تعمل وهي نعسانة. وصعدت الفتاتان مع السيدة برسكت الى الاعلى طابقاً بعد طابق على السلّم غير المغطى وفي الطابق الرابـع، دفعت (بـوني) خلال الباب وقالت «سريرك قرب الباب» ورفعت الشمعة التي كانت تحملها لتريها غرفة فارغة كبيرة تحتوي على قطع حديدية صغيرة كان ينام عليها الاطفال، وعلى بعض هذه القطع كان هنا طفلان في مكان واحد.... وهناك فراش واحد فارغ كان قريبـاً من الباب ولم يكن لسليفيا وقت لتهمس في اذن (بوني) قائلة «ليلة سعيدة» واخذتها السيدة الى طابق آخـر ووضعتهـا في غرفة نوم مشابهة. وخلعت سليفيا ملابسها في الظلام وأخذت طريقها نحو الفراش الذي

ـ«عودي الى فراشك فقد يشاهدك أحد ما، وشعرت بأن في هذا المكان عقوبة للشخص الذي يخرج من فراشه».

«جئت فقط لاطمئن عليك، لا تقلقي يا سليفيا. سنستمر في صحبة بعضنا البعض وقد يكون هذا سيئاً علينا ويسبب لنا المشاكل، ولكن اذا لم يعجبنا المكان فسنهرب» قالت بوني. وعلى الرغم مما قالته بتصميم وبصورة جازمة الا انها في قلبها كانت خائفة الى أين يمكن أن تهربا؟ والانسة سلفكارب، كانت قد سيطرت على مصيدة ولوباي؟ «أراك في الصباح»

وحين تمكنت سليفيا من استعراض حضور بوني المريح في فكرها وجدت في نفسها الشجاعة لان تدفع قدميها في داخل الفراش البارد واستطاعت النوم ولكن (بوني) بقيت ساهرة تتقلب في الفراش ساعة بعد اخرى تسمع دقات ساعة المدينة وصوت المصنع وصوت العتلات وقالت وهي تحدث نفسها مرات ومرات «ما الذي سنفعله؟» وفي الصباح اكتشفتا لماذا كانت الاسرة التي قرب الباب آخر ما تشغل؟ وحين كانت السماء في الخارج معتمة داكنة كأنها منتصف الليل، ونجوم الغابة ما تزال

تتلألأ دقت فتاة جرس الباب بصوت مفزع أيقظ من كان في الاعلى والاسفل من الطوابق. حتى صار كل شخص في الغرفة يرمي بغطائه ويقفز نحو الارض. ويبدأ بخلع ملابس النـوم وارتـداء ملابس النهـار. وكادت سليفيا تسقط من الفراش فزعة «واين سنستحم» همست في اذن الفتاة التي كانت تجلس في الفراش الذي بجانبها فقالت الفتاة «صه» يجب ان لا تتكلمي» قالت الفتاة مشيرة الى سليفيا. وشاهدت سليفيا في احدى زوايا الغرفة مغسلة صغيرة وكان تحتها دلو كبير وشاهدت اكبر الفتيات عمراً في الغـرفة وهي تكسر الثلج في المغسلة بوساطة فرشاة شعرها ثم بدأ الاطفال كلهم بالتغسيل كل حسب عمره وقابليته. وحين وصل الدور لسليفيا كانت هي الاخيرة. فلم يكن هناك ماء في المغسلة ما عدا كمية قليلة جداً ولم تستطع أن تمسه بيدها. كانت توشك أن تبدأ بتصفيف شعرها جين قالت اكبر الفتيات والتي كانت قد اغتسلت اولًا «أنتِ... انتظري! يا جوليا احضري المقص» «نعم يا اليس» أجابت الفتاة وهي التي كانت قد حذرت (سليفيا) بأن لا تتكلم في الغرفة وعادت بسرعة حاملة معها مقصاً ذهبياً. وقبل أن تعرف (سليفيا) ما الذي يحدث كما لم

يكن لديها وقت للاعتراض أمسكت (ألس) خصلة من شعرها الذهبي وقصته خصلة بعد اخرى. ثم قطعت المتبقي منه حتى صار قصيراً جداً لا يكاد يغطي رأسها. ولم تكن هناك اية مرآة في الغرفة، لذلك لم تستطع (سليفيا) أن ترى كم كان قبيحاً منظر رأسها! فصاحت «ما الذي تقصدينه من وراء قص شعري؟» قالت (ألس) بحدة؟ «صه إنها الاوامر فان السيدة برسكت لاتسمح لأي أحد ان يكون له شعر طويل... هيا قفي في الصف». كان بقية الاطفال ذوي الشعر القصير قد وقفوا في صف واحد ودفعت (ألس) بسليفيا الى محلها في آخر الصف ووقفت هي في مكانها في الامام وقادتهم الى اسفل السلم. ولمحت سليفيا (بوني) في نهاية صف آخر والذي انضم بدوره الى صفه. وكان شعر بوني قد قُصَّ هو الآخر واعطيت لباساً كاملاً بنياً يحتوي على عدد من الجيوب كالذي اعطي لسليفيا ولم يكن من السهولة تمييز (بوني) لقد صارت تشبه صبياً نحيفا ذا شعر اسود، وقد بعثت لسليفيا اشارة حزينة من خلال نظرتها. وكانت السجلات قد دونت ووضعت على المناضد في غرفة كبيرة باردة ذات ارضية حجرية، ووقفوا ينتظرون في حين كان

ثلاثة اطفال او اربعة ذوو وجوه متعبة من بينهم (لوسي) يجلبون طعاما قليلا وحارا وقد وضع في صحون صغيرة، وكانوا يأكلونه من دون حليب أوسكر، وبعد ذلك اعطوهم قطعة صغيرة من الخبز الجاف وغير اللذيذ مع اقل مايمكن من صلصة شرائح اللحم وكان هذا اخر شيء يعطى في فطور. وفي تلك اللحظة دخلت السيدة (بركست) ووقف الجميع، فقالت وهي تنظر شزراً الى الجميع: «أين هما الفتاتان الجديدتان» ودفعت (بوني) و (سليفيا) نحو الامام من مكانيهما عند الطاولات المتباعدة نحو الغرفة فصاحت بهما بعصبية «لقد اخبروني بانكما تركتما سريريكما ليلة أمس وتكلمتما الى بعضكما البعض لذلك ستحرمان هذا المساء من العشاء». فتساءلت (سليفيا) في نفسها «من كان يسمعهما؟». ثم لمحت منظر الفتاة الكبيرة (ألس) التي قصت شعرها. فقد كان يبدو على وجه (ألس) الغبي البليد تعبير جاف «لم تفعل سليفيا أي شيء: أنا التي تكلمت معها» قالت بوني.

«اسكتي ياآنسة.. لن اسمح لمثل هذا التصرف ستحرمين من الشاي أيضا، ربما هذا سوف يعلمك كيفية الاحترام.. والآن الى اعمالكم..» الرقم (٩٨)

ستعمل في المكوى.. رقم (١٨) أريها ما الذي سوف تعمله الرقم (٩٩) أنت ستعملين في المطبخ في عمل الطعام، انتبهوا اليها ، لكي لا تقوم بأي مشاكل .. سيحضر هناك مفتش من دائرة التعليم هذا الصباح. لذلك أريدكم ان تكونوا في غرفة الدرس في الساعة الثانية رقم ١٨، ٩٨ يجب ان تلاحظا بان عمال المساء قد استيقظوا في هذا المساء وتركت السيدة (پرسكت) الصالة و سارع الاطفال نحو أعمالهم المختلفة بصمت وقادت (سليفيا) فتاة ضعيفة لها نظرة ودية في الخامسة عشرة من عمرها وهمست في اذن سليفيا بان اسمها كان (ايميا) فقادتها نحو غرفة المكوى.

تساءلت (سليفيا) بهدوء «اليس هناك اي دروس»

«صه.. انتظري حتى نصل الى المكوى وهناك نستطيع أن نتحدث»

كانت غرفة المكوى كبيرة خارجية ذات أرضية حجرية وكانت باردة جدا مبنية في الجهة الخلفية من المنزل وكانت تحتوي على عدد كبير من أنابيب الزنك والواح خشبية ولوحات حديدية كبيرة ومفارش كثيرة وملابس صوفية كثيرة متنوعة تنتظر غسيلها ثم حضر تسعة

اطفال للقيام بالعمل ووضعوا الكتان وملاوا الاحواض من مطحنــة خارجيــة والتي كانت أصواتها عالية جدا بحيث لايمكن سمــاع اي حديث قد يجري حين كانت تشتغل «لا تجعليها تسمع ماتتكلمين مهما حدث. فنحن مسموح لنا فقط بأن نقول الاشياء الضرورية لبعضنا».

· قالت تحذر سليفيا وكانت تعني (ايما) بكلامها السيدة برسكت. وأعـطت سليفيـا آنيـة ومجموعة من المفارش وقطعة من الصابون الاصفر وتساءلت سليفيا بتعجب «ولكن هل يسمح الاباء لابنائهم بالقيام بمثل هذه الاعمال؟»

- «هنـا الجميـع أيتام فأن هذه المدرسة هي للصدقة. وتحصل السيدة برسكت على بعض المبالغ لتديرها، ولكن مع ذلك تجعلنـا نقوم بجميع الاعمال، وبعض الاعمال الخـارجيـة.. نحن هنـا نغسل نصف الملابس التابعة لاهـالي بلاسترين، وحين يأتي مفتش التعليم الى هنا، نذهب الى الصفـوف ونتـظاهر بأننا ندرس» فتساءلت (سليفيـا) وهي تحـاول ان تخـرج قطعة من الملابس الثقيلة جدا من الماء البارد «وهل يعجبكم المكان هنا؟» فنظرت (ايما) اليها بفضـول وحب استطلاع ولم يكن

اي احد قريبا منهما وكانت المضخة تعمل بصوت مرعج فانحنت وهمست في اذن سليفيا

«انه مكان مرعب ولكن لاتدعي اي أحد يسمعك تقولين هذا، فالمدرسة مليئة بالجواسيس. فالجميع هنا جائعون، وتكافىء السيدة برسكت أي شخص يحمل اخباراً عن أي شخص آخر اذ أنها تعطيهم قطعة من الجبن. فلديها سلة كبيرة في غرفتها مليئة بالجبن، وهي جاهزة للقطع».

لذلك فقد أفشت (ألس) سر زيارة (بوني) في منتصف الليل وشعرت سليفيا بالاحساس نفسه لأنها كانت جائعة كما كانت قبل الافطار، وشعرت بسيل في فمها لمجرد التفكير بهذه القطع اللذيذة من الجبن. وبعد ان قامت بالغسيل ثلاث مرات بتلك اليدين الصغيرتين اللتين أصبحتا الآن ورديتين ومتورمتين وخشنتين من كثرة الغسيل والماء البارد. بعد ذلك أرت (ايما) سليفيا كيفية استعمال العصارة «لاتمسيه ابداً بيديك فقد فقدت أحدى الفتيات أصابعها بهذه الطريقة. عندما أدخلت يديها لتخرجها ونحن الآن نخرج المفارش منها بوساطة العصا». ووضعت الغسيل في سلة وحملتها الى ساحة

خلف البيت. وكان هناك صف طويل من بيوت الدجاج بصفوف طويلة لنشر الغسيل. وحين نشرت المفارش لتجف، عادت (ايما) وسليفيا الى غرفة المكوى مرة اخرى لغسيل المتبقي من جديد. وطال الليل كأنه لا نهاية له وبدا الصباح بعيداً! وكانت (سليفيا) قد تعبت من هذه الاعمال والشغل خلال الماء البارد الخارج من العصارة والذي يبلل أي شخص يستعمله. وبعد ذلك ضرب جرس العشاء وتمنت (سليفيا) ان تلتقي (ببوني) وتتكلم معها في مكان ما بعد ان حرمتا من وجبة العشاء ولكنها علمت ان الذين يعاقبون على مثل هذا التصرف يجب عليهم ان يقفوا خلف غرفة الطعام وينظروا الى الذين يأكلون. وجلست السيدة (برسكت) على رأس المائدة تأكل سمك السلمون مع الحلوى ولم تكن هناك اية فرصة للحركة حتى لمسافة اصبع واحد من دون ان تشاهدها، وبدت (بوني) تعبة ومتمردة. وكانت هناك بقع التراب المخلوط بالفحم على خديها وبقع من الزيت على بدلتها. ولكنها اشارت لسليفيا مشجعة لها. وسنحت لها الفرصة في نهاية الوجبة حين كانت جميع الكراسي تعاد الى اماكنها، فهمست في اذني سليفيا:

«على كل حال انها لم تكن وجبة شهية حتى نتألم لفقدها».

فقد كانت قطعة رفيعة جداً من سمن الخنزير البارد وقطعة صغيرة من البنجر وقطعة صغيرة من التفاح. وبعد العشاء عادت (بوني) الى غرفة غسيل الاطباق لتساعد في الغسيل في حين كانت (سليفيا) و (ايما) تتجولان حاملتين معهما جرساً لايقاظ العمال الليليين وعرفت (سليفيا) بأن عدد الاسرة لم يكن كافياً لجميع اطفال المدرسة فالبعض منهم ينامون في النهار وبعضهم الآخر ينامون في الليل. فالعمال الليليون كانوا متعبين فهم مسؤولون عن بعض الواجبات في النهار أيضاً، ولكنهم كانوا محسودين أيضاً فلم تكن أعمالهم تحت اشراف السيدة برسكت.

كان ايقاظهم عملية صعبة فقد كانوا متعبين ويوقظون بعنف وبشدة من نومهم القلق ويسحبون من أسرتهم في الساعة الثانية تماماً. كان جميع من في المدرسة يرتجفون ووقفوا بصف واحد في غرف باردة.

وفي الساعة الثانية والنصف دخلت السيدة برسكت مع المفتش كان الاطفال قد تدربوا على مثل هذه المواقف

فحين فتح الباب قراوا جميعاً وبصوت واحد «الف... باء... جيم» وهكذا حتى خرج الزوار وفي الغرفة الثانية كانوا يرددون «١، ٢، ٣» فقال السيد (فرند شب) مفتش المدرسة «آه... جيد انهم يتعلمون القراءة والحساب يا سيدتي». نعم يا سيد (فرند شب) كما ترى» قالت السيدة برسكت... هذا ما اتوقعه في مثل هذه المؤسسة التي تدار بصورة جيدة من قبلك يا سيدتي».

«والآن يا سيد فرند شب» حين مروا من خلال آخر غرفة التي كان فيها كل من سليفيا وبوني واقفتين قالت له السيدة برسكت «تفضل يا سيد لتأخذ كأساً من النبيذ ليحميك من البرد».

-وبعد وجبة الشاي التي حرمت منها (بوني) جلس الأطفال للقيام بأعمال التصليحات، وكانت الوجبة تحتوي على قطعة من خبز يابس وكوب من الماء وقسمت (سليفيا) قطعتها من الطعام لتحتفظ بها لبوني واعطتها في يدها بعد ذلك حين جلسوا يعملون في غرفة الدرس ويتجمعون يردون بعضهم على بعض طلباً للدفء.

كان هذا هو الوقت الوحيد في النهار الذي يسمح للأطفال بالكلام معاً «هذه قطعة من الفطائر المحمصة»

همست بوني في اذن سليفيـا «اذا ما قلت كلمة واحدة ستضربك بالمقلاة بأي شيء يقع تحت يدها. ان المطبخ قذر جداً وسـأعمل بعد فترة في زريبة الخنازير فنحن نستطيع البقاء هنا يا سليفيا». «كلا... نحن لا نستطيع» قالت سليفيا متفقة معها «ولكن كيف يمكننا الخروج من هنـا»؟ والى اين نذهب؟» فقـالت بوني بتفـاؤل كبـير سنفكـر في خطة ما.. وأنت يا سليفيـا فكـري معي أيضاً... فأنت تستحقين كل شيء جيد». أومأت سليفيا وهمست في اذن بوني «صــه... ان ديانا برسكت تنظر الينا». وحنت رأسها على المعطف الحريري الجميل الذي كانت تصلحـه. وقـد علمتـا ان (ديـانـا برسكت) من الاشخـاص المزعجين، وكانت عيناها الحادتان تنظران الى كل مكان مستعدتين لرصد كل خطأ وبامكانها نقله الى والدتها. فكانت أصابعها سريعة في الضرب والقرص والاذى حين كانت تمر على السلم. انها فتاة مكروهة من قبل جميع اطفال المدرسة.

وبعد أن خاطوا وعدلوا عدة ساعات وضعوا في مخزن المكانس حين كانت السيدة برسكت تقرأ لهم فصلاً من الانجيل.

ثم حل وقت العشاء وهو اما حليب القشدة الازرق او كوب من حساء البطاطا. ثم أرسلوا الى الفراش. وكان معـظمهم متعبـاً يمـلأ قلوبهم الحزن. وعلى الرغم من جوعهم وارتجافهم من البرد فقد ناموا بسرعة.

الفصل الثامن

لم تمضِ (بوني) وقتاً طويلاً في المطبخ. فالمرة الثانية التي ضربتها فيها الطباخة بالمقلاة، رفعت (بوني) آنية الحساء وهي مملوءة بالحساء ورمتها في وجه الطباخة. إذ حدث عراك بينهما مما دفع السيدة (مولسكن) (الطباخة) وكانت امرأة ضخمة ذات مزاج حاد وعصبي أن ترمي ببوني نحو خزانة الكنس ثم شكتها للسيدة برسكت.

وقد كانت السيدة (مولسكن) تملك عدداً كبيراً من

الخـادمـات الصغـيرات اللواتي يتسـارعن لخـدمتها. واعلنت بأنها لاترغب ببوني ولن تسمح لها بالعمل معها في المطبخ ثانية، وبهذا البيت عوقبت بوني بحرمانها من وجبـات الطعـام الثلاث لمدة يومين كما عليها أن تقوم بالاعمـال الخارجية، والتي كانت أعمالاً مخزية مهينة رهيبة. وفي الواقع لم يكن لدى (بوني) أي اعتراض على العمل خارج المنزل لانه كان أخف وأفضل من عملها في المـطبـخ. فالعمل خارج المنزل كان يعني جلب الفحم واعداده لاشعال النار، وكنس السلالم الامامية والخلفية للمنزل وتنظيف زجاج النوافذ ومقابض الأبواب وتنظيف الحـديقة الامامية والعناية بالدواجن. وتحملت بوني - التي كانت قويـة مثـل مهـر فتي - يومـين من الجوع بحماسة وعدم مبالاة. وقد جلبت لها سليفيا مرتين قطعاً من الخبز. الا انها في المرة الثانية أمسكتها (ألس) وقد اكلت قطعة الخبز منها واخبرت السيدة برسكت بذلك. وبـذلك حرمت سليفيـا عشـاءها لذلك اليوم. فشكرتها (بوني) ولم تسمح لها بالتضحية بنفسها مرة اخرى.

وفي أحد الأيام الباردة المضنية وحين كانت (بوني)

ترتجف من البرد لقلة ملابسها وحين كانت تكنس الثلج من الممر الامامي للمنزل سمعت فجأة صوتاً مألوفاً يناديها من خارج البوابة الأمامية. «يا آنسة بوني يا آنسة بوني» «آه... انه سيمون...» صرخت بوني فرحة وكادت المجرفة ان تسقط من يديها من فرط المفاجأة. «آنسة بوني لماذا تقومين انت بمثل هذه الاعمال». «صه» قالت (بوني) وهي تنظر نحو المنزل لتتأكد من أن السيدة برسكت ليست هناك تراقبها من احدى النوافذ «لقد ارسلونا الى هذه المدرسة يا سيمون ولكنها أتعس من السجن.. نحن لا نستطيع تحملها ولذا قررنا ان نهرب» «أنا ارى هذا الرأي أيضاً يا آنسة» قال (سيمون) بحماسة «وأنت تكنسين الطرق بهذه الملابس الخفيفة؟! انه شيء فظيع!

قالت بوني:

«ولكن يا سيمون ما الذي ستفعله في بلاستبرن»؟ قال بفرح: «جئت هنا لابيع الأوز» ثم أضاف: «ولكنني في الحقيقة جئت ابحث عنك يا آنسة بوني... فقد طلب مني جيمس وپاترن أن آتي هنا لاراكما وكنا قلقين لاجلك ولأجل الآنسة سليفيا فما الذي سأخبرهما؟»

وفي تلك اللحظة ظهر بائع الفحم وتوقف خارج المنزل وضرب على الباب الامامية منادياً فحم، فحم، فحم.. وخرجت السيدة (برسكت) وأمرت بشراء ثلاثين كيساً منه «أنت؟» قالت بحدة لبوني «ساعدي الرجل في حملها الى مخزن الفحم؟ من ذلك الشخص؟» قالت وهي تنظر نحو سيمون بريبة وشك»

«أوز للبيع... اوز للبيع... أي شخص يريد شراء اوزّاتي السمينة» قال سيمون مشيراً الى الاوزتين اللتين حملهما تحت ابطه ونظرت السيدة برسكت نحوه ونزلت من الحديقة نحو الباب الامامي وهي تتفحص الاوزتين باصابعها «سأعطيك خمسة شلنات لكل واحدة» قال سيمون: «عشرة شلنات» فاجابت السيدة برسكت:

- «هراء: ليست اكثر من سبعة شلنات»

قال سيمون بجراة واضحة:

- خمسة عشر شلناً للاثنين يا سيدتي. وهذا سعر خاص لك، لانني لا استطيع ان اقاوم سيدة جميلة مثلك»

-«آه يا فتى الأزقة!» قالت السيدة برسكت لكنها دفعت اكثر من خمسة عشر شلناً وامرت بوني بأن تضع الاوزتين في مخزن الدجاج وفي الواقع كان السعر رخيصاً

جداً وهي تعلم ذلك «سأحمل لك الفحم يا سيدتي» اقترح سيمون «حسناً» وأخرجت قطعة معدنية من جيبها «بامكانك مساعدة الفتاة فان مفتش المدرسة قادم بعد نصف ساعة ولا أريد أن أرى الاطفال يركضون ذهاباً واياباً لتنظيف الطريق حين يأتي». وحمل سيمون أحد اكياس الفحم من دون أية كلمة اخرى وحمله عبر الحديقة الى مخزن الفحم الذي كان تحت نافذة السيدة (برسكت) فتح الباب ووضع الفحم في مخزن الفحم وعاد ليأتي بكيس آخر. وفي الوقت الذي عاد وجد السيدة برسكت قد ذهبت داخل المنزل تاركة المفتاح في الباب، ونظر سيمون متلفتاً للتأكد من عدم وجود أحد، وعدّ بائع الفحم بأن مساعدته لسيمون باتت غير ضرورية، لذا ركب العربة وذهب للنوم، فأخذ سيمون كمية من الثلج بيده وأخرج سكيناً من جيبه ثم أخذ من الارض كمية من الطين الاصفر وخلطه بيده حتى اصبح كالعجين واخرج المفتاح من الباب وضغطه بقوة على احدى صفحتي الطين ثم الصفحة الاخرى حتى صار هناك طبعتان على جهتي الطين. بعدها أعاد المفتاح الى الباب ومسح قناعه وضغطه بالثلج ولفه بعناية حول طبقة الطين والتي

وضعهـا تحت الزرع، وفي ذلك الوقت جاءت (بــوني) مسرعـة بعد أن حبست الوزات، وكان (سيمون) يعمل بجـد وقد حمل الكيس الخامس من الفحم فقال بفزع «لاتحاولي أن تحملي أي كيس يا آنسة، فالاكياس بعيدة وهي ثقيلة عليك» ... ثم قالت بوني «لاتخف سآخذها بعــربــة» ورفعتهـا من السقف «ان السيـدة برسكت ستحرمني من العشاء اذا رآتني بلا عمل وأنت تقوم بكل الاعمال». فقال سيمون فزعاً

«هل هي تقوم بهذه الاعمال فعلاً، هل تجوعكم حقاً؟»

«لست أنــا التي تجوعها» قالت بوني مبتسمة «فانا بسرعة استطيع أن أجد ما افعله. فحين تمنع عني احدى وجبات الطعام، استطيع ان اعوضه بأكل بيض طازج (وغير مطبوخ) وفي بادىء الامر كان ذلك لا يعجبني.. وحــين تكون جائعاً حتماً، تفاجأ في انك تحب أي شيء تأكـله». فقــال سيمــون «يجب أن لا تبقي هنــا، ولا تستمرين في هذا المكان اكثر من هذا!» «هل تساعدنا يا سيمون على الهرب؟» أجابها «نعم سأفعل حقاً» «ولكن يا سيمون اذا ما عزمنا على الهرب فيجب أن نغير ملابسنا. وهـذا ما كان يقلقني، فقـد أخذت ملابسنا وحاجياتنا

ومحفظتنا وما تحتويه من نقود حتى لا نشتري أي شيء واذا ما مشينا في الشارع بهذه الملابس فسيعلم الجميع باننا هاربون من دار الايتام؟» فقال سيمون واعداً اياها «سأحضر لكما ملابس»

«اذا ما أحضرت ملابس للاولاد فان ذلك سيكـون أفضل. فانا اذهب كل يوم الساعة السادسة الى بيوت الدجـاج لاطعمهـا، ويمكنك أن تقابليني هناك في بيت الدجـاج بعد أن حصلت على الملابس. فاذا ذهبت الى (پـاترن) فانا واثقة بانها ستعطيك شيئاً لترتديه ولكن ستكون هناك صعوبة في اخراج سيلفيا من البيت، لأنها لا تملك أي عذر لتكون خارج البيت الا في الصباح حين تنشر الملابس. وسيكون الهروب في مثل ذلك الوقت خطراً جداً».

«انتـظري حتى الاسبـوع القادم فسأعمل مفتاحاً جديـداً واستطيع ان اخرجك بوساطته، هل تستطيعين الدخول الى مخزن الفحم من الداخل؟»

فاومأت بوني وقالت «ان ذلك سهل جداً، فهي تغلقه علينا غالباً كعقوبة لنا»... «اذن سأعطيك مفتاحاً للباب الخـارجي وسيكـون واجبك في أن تجدي وسيلة حتى

تقفليه عنيك». ولفت بوني ذراعيها حول رقبته قائلة «أنت مدهش يا سيمـون! والآن يجب أن أذهب الى الداخل بسرعة والا فساعاقب على التأخير». وانتظر سيمون حتى دخلت بوني الى البيت ثم سحب آخر قطعة من الفحم وأيقظ سائق العربة من نومه آخذاً بحذر قطعة الطين من المكان الذي خبأها فيه بين الزرع وحمله وكأنه أغلى من قطعة ذهب. ثم مشى ليبحث عن أقرب محل لصنع وطبع المفاتيح، وكانت (سليفيا) مضطرة لأن تحرم من وجبة الشـاي. وكـانت قد أعـطيت فستـانـاً لديانا برسكت لتصلحـه. ووجـدت المهمـة قد أثقلت يديهـا الماهرتين وبصورة محزنة ومؤلمة شعرت بالصداع وكانت أطرافها الباردة قد تركت أصابعها أقل مهارة ونشاطاً من المعتاد ولم تستطع (سليفيا) اكمال الفستان وحين طلبته ديانا ووجدته غير كامل رفعت يدها وصفعت (سليفيا) وأخبرت والدتهـا بان الرقم (٩٨) كانت كسولة ورفضت القيام بالعمل الموكل اليها وكان على سليفيا ان تقف خلف غرفة الطعام مع بقية المخالفين، في وقت تقديم الشاي، في حين كانت (بوني) تحترق عطفاً وشفقة عليها.

وفي اثناء وقت الخياطة بعد الشاي استرقت (بوني)

دقيقــة من وقتهــا حين خرجت (بــرسكت) من الغرفة، فالتفتت (بوني) نحو (سليفيا) وأسرعت بوضع شيء في يديهـا. «كليــه بسرعة قبل أن تأتي السيدة برسكت». ونظرت سليفيا الى ما في يديها ورأت في غمرة من فرح شديد قطعة من الكعك وكانت حارة ولذيذة

«من أين حصلت عليهـا يابــوني؟» «انهــا بالتأكيد من سيمون فقد وجدت قطعتين في صندوق البيض حين كنت أجمعه. ولوكنت أعلم بان هذه الشريرة (ديانا) ستحرمك من تناول الشاي لكنت ادخرت كوبا من الشاي الخاص بي لك».

وهمست لسليفيا بتفاصيل خطتها الجديدة مع سيمون. وقد شحب لون سليفيا من الخوف وازدادت شحوبا من فرط الفــرحة «نهرب ـ اوه يا بوني» كم هو رائع! هيا اكملي هذه القطعة من الكعك، فانا سعيدة ولا استطيع من السعادة ان.. ثم سعلت «يجب ان تأكلي فليس لدينا شاي لنشربه معاً» فقالت سليفيا:

«لكني لااستــطيــع اكلهــا فان حنجرتي تؤلمني.. واين سنذهب يابوني؟»

« في الحقيقة اننا لا نسطتيع العودة مباشرة الى ولوباي، اذا انهم سيبحثـون عنا فوراً فاذا ما حاولت (باترن) وجيمس مساعدتنا فيقعان في مشاكل جمة، ماذا تقولين لو حاولنا الذهاب الى لندن الى العمة جين؟» اوه.. نعم.. نعم يابـوني فانا مشتاقة جدا لرؤيتها ومعرفة حالها؟» قالت سليفيا بصوت منخفض وسعلت مرة اخرى «كيف سنـذهب الى هنـاك ونحن لانملك نقـوداً لقـطع تذكرة القطار؟» «لقد فكرت في ذلك فقد يبيع سيمون أوزاته في لنـدن قبل احتفالات العيد في سوق (سميث) وسيكون العيـد في نهـايـة شهـر نيسان وسيحتاج الى شـهرين للوصول الى هنا».

«وبعد ذلك نستطيع الذهاب معه أليس كذلك يا بوني؟»

«صــه» قالت بوني.وفي ذلك الوقت فتحت السيـدة برسكت الباب ودخلت الغرفة مرة اخرى ثم ألقت نظرة على الاطفـال قبـل ان تبدأ القراءة بصوت أجش أحد فصـول كتـاب المـواعـظ وأحنى الاطفـال رؤوسهم متـظاهرين بالانشغال بأعمالهم. صارت (بوني) تشعر بسعادة غامرة تملأها كلما ذهبت لتطعم الدجاج وتجمع

البيض. وفي كل يوم تتوقع أن تجد الملابس هل ستكون هناك ملابس هذا ما كان يشغل بالها. وتوالت الايام فجاء يوم الثلاثاء وبعده الاربعاء وحل يوم الخميس ثم الجمعة لكن من دون أن تجد أية ملابس في بيت الدجاج. وفي السبت كان هناك مفتش التربية حيث زار المكان صباحاً. وقد حضرت السيدة برسكت للعشاء معهم في اليوم التالي. وكـانت دائماً تنتهز الفرصة لتريه كيف كانت تتصرف جيـداً مع الاطفال حيث يقفون في صفوف قبل وصوله بسـاعـة. وكان هذا شديد الوقع على سليفيا، اذا انها تعمل في الماء البارد كل يوم في غرفة المكوى. وقد أصابها شيء من البرد فصار رأسها يؤلمها وعيناها مثقلتين وتشكو من حمى كانت تسحق عظامهـا وفي الوقت الذي دخل المفتش الغـرفـة اغمي عليهـا «هذه الطفلة يا سيدتي مريضـة جداً» قال السيـد (فـرنـد شب) مشيراً اليها باصبعه «كلا انها تتظاهر بالمرض» قالت السيدة برسكت وهي تنظر لسليفيا بكره مع أن مرضها كان حقيقياً وليس تمثيلاً. ووجهت السيدة برسكت فتاتين لتحملا الفتاة الى فراشهـا في غرفـة صغـيرة، حيث كان الاطفال المرضى ينامون حتى لا ينتقل المرض الى الباقين. وهناك في زاوية

من الغـرفة حوض للغسيل. وأصبحت سليفيا ضعيفة جداً. بحيث لا تستـطيع الاكل وكانت تتلوى من الألم واكتشفت (بـوني) أثنـاء العشاء ان سليفيا لم تحضر لتنـاول العشاء. وهمست باذن ايما «أين هي؟» «انها مريضة في غرفتها» «مريضة؟» تعجبت (بوني) وشحب لونها وتوقعت بان سليفيا ستبقى مريضة عدة ايام على الرغم من انهـا لم تكن تشكـو من شيء. فتسـاءلت في نفسهـا. اذا ما بقيت سليفيا مريضة كيف سنستطيع الهرب؟ واذا لم نستطع الهرب ما الذي سنفعله ـ حيث كان الوضـع سيئاً ويستحيل علينا تحمله والاستمرارية فيـه. وقد تموت سليفيا اذا ما أهملت وعوملت بطريقة سيئة في مثل هذا المكان السيء.

وتجرأت (بوني) حين كانت السيدة برسكت تفتش احدى الغـرف في الطابق الاعـلى على أن تذهب وتزور سليفيا والتي كانت يقـظة ولكنهـا ضعيفة وتسعل بشدة، وقد وضـع بقربها كأس من الماء البارد «هاك يا سليفيا ابتلعي هذا، انه سيء الطعم ولكنه مفيد ودافىء» وسحبت بيضة نيئة من جيبها وسكبت الماء البارد خارج الشباك وكسرت البيضة باصبعها وسكبتها في الكوب «أنا اسفة يا سليفيا

ان طعمها ليس لذيذاً ومقرف لكنها ستساعدك على الشفاء». ونظرت سليفيا بخوف الى ما في الكوب ولكن نظرة بوني بعينيها اللامعتين اجبرتها على تناول ما في القدح. وابتلعتها بسهولة اكثر مما توقعت ثم سمعت السيدة برسكت وهي تهبط من السلم فغطت بوني سليفيا واحتضنتها ونزلت بصمت من الغرفة. وفي تلك الامسية حين كانت بوني تطعم الدجاج وتبحث عن البيض تحت احدى الدجاجات شعرت بشيء صلب وطويل.. إنه المفتاح! فسحبته وأحست بوجود شيء مرفق به ومكتوب بخط (باترن) «غداً الساعة العاشرة ليلا... انتظرا تحت بالة القش» وركضت (بوني) نحو بالة القش والتي كانت محفوظة في صناديق الاعشاش ووجدت خلفها قطعاً من الملابس الخاصة بالفتيان والآخر فستاناً للفتيات يحتوي على تنورة صيفية سميكة ومعطف صغير. وكانت القطعتان مصنوعتين من قماش خاص للاطفال. وكان لكليهما سترة مصنوعة من جلد الخروف مخططة من الصوف الطبيعي، وفي كل جيب من السترة جنيه ذهبي وتوقعت (بوني) بان ملابس الفتيات لها وملابس الفتيان لسليفيا لأنها صبي وصغير.

«كم كان ذكيـاً هذا الفتى سيمـون! وبالتأكيد فقد ساعدته پاترن هل يمكن ان ننفذ الخطة ونرحل؟ يجب أن نتدبر الامر بكل وسيلة». وعضت شفتيها قلقاً وتوجساً. وحاولت بوني انتهاز فرصة حلول الظلام وعدم وجود أي احد فحملت قطعتي الملابس الى داخل البيت وخبأتهما في مخـــزن الفحم خلف كومـة كبـيرة من الفحم، حيث تظاهرت بأنها تملأ مدفأة السيدة (برسكت) لتوقد النار فيها. وفي المساء حاولت ان تغتنم فرصة اخرى لتأخذ بيضــة اخـرى لسليفيا. وابتلعتها سليفيا كأنها واجب يجب أن تقوم به لعلاج ما بها. وحاولت أن تسعد بالخطة لكنهـا شعـرت بضعف ومـرض شديدين. بحيث كانت متأكدة من انها لن تستطيع ان تدبر امور الهرب على الرغم من انها لم تجرؤ بالبوح لبوني بذلك. واستطاعت بوني ان ترى ضعف وتعب سليفيـا، وكـانت اكثر قلقاً منها. مضى يوم الاحد بواجباته المعتادة وذهبت السيدة برسكت بعـد السـاعة العاشرة الى حفلة السيد (فرند شب) تاركـة المـدرسة في مسؤولية ابنتها (ديانا) التي كانت كعادتها تبدأ فوراً بالصياح على الاطفال وتجعلهم يذهبـون ويأتون بالاشياء ويصففون شعرها ويلمعون

أحذيتها. وقد منعتها السيدة (برسكت) من ترك المنزل لكن لم يكن لها أية نية في البقاء فيه، واقترحت بأن تقوم بزيارة الى السوق في الجانب الآخر. وقد أخذت خلسة بعض القطع النقدية من محفظتها «هي أنت؟» نادت على (بوني) حين رأتها تركض مسرعة «الى أين أنت ذاهبة؟ تعالي بسرعة» فأتت (بوني) غير راغبة في ذلك.

ـقالت ديانا:

ـ «مـا الذي في يديـك؟» لم تجب (بـوني) وسحبت (ديـانـا) يدي بوني من جيبها وصرخت بصوت مزعج. ونظرت الى أصابع بوني المتسخة بصفار البيض «لصة أنت يا لصـة يا بائسة تسرقين البيض من بيت دجاج والدتي!؟» ورفعت يديها القذرتين وصفعت بوني. وقبل ستة أشهر كانت (بوني) سترد على صفعة (ديانا) لها، لكنهـا تعلمت الصبـر والسيـطرة. ولاجل ان لا تكون متـورطة في أن تعـاقبها (ديانا) لم يكن ذلك جزءاً من خطتهـا على الرغم من انها كانت تود أن تصفعها على اذنها. قالت بوني بهدوء: «كنت احملها لسليفيا» «فان والدتـك لاتـطعمها جيداً فهي لا تأكل طيلة النهار غير قطعتين من البصل»

ـ «وهـل ذلك من شأنـك؟ حسنـاً» قالت ديـانا وقد شحبت من الغضب «بمـا انك تعتقدين بأن في امكانك رعـايـة سليفيـا جيـداً فستـرعينهـا أنت بنفسـك. ستستـطيعان رعاية بعضكما للبعض الآخر في مخزن الفحم ألس. ساعديني بان أغلق الباب عليهما» وكانت (ألس) مع فتـاتـين أخريين ضعيفتين قد قمن باغلاق الباب بفرح في حين بقي الآخرون ينظرون اليهما عندما دفعت (بوني) وسليفيا ما تزال بثياب نومها وهي نصف محمولة الى المكان المظلم القذر

«لايجوز ان تعملي ذلك يا آنسة ديانا، فان ذلك سيسيىء الى صحة سليفيا ويؤثر عليها» قالت (ايما) «اسكتي من طلب منـك ان تتـدخلي؟» صاحت ديانا وضربت (ايما) واغلق الباب واقفل بالمفتاح ووضـع المفتاح بمكانه المعتاد على طاولة السيـدة برسكت. وحين تأكدت (ديانا) بأن الجميـع قد خافـوا منهـا لفت نفسهـا بعبـاءة لطيفة وانصرفت الى السوق وقد اغلقت الباب الامامية واخذت المفتـاح معهـا. وكانت (بوني) في مخزن الفحم تهنىء نفسهـا على نجـاح فكـرتهـا حين سـاعـدت (سليفيـا) الضعيفة التي كانت ترتجف من البرد في لبس الملابس

الداخلية «خذي يا سليفيا... لا تبكي فهناك مصباح وأنا متأكدة بأن لدى سيمون خطة جيدة لانقاذنا. وسيتمكن من اخذنا الى مكان أحسن من هذا المكان. لا تبكي يا عزيزتي» ولكن (سليفيا) لا تستطيع ان تمنع دموعها من الانهمار لفرط ضعفها. فجلست على كومة من الفحم في حين كانت (بوني) تستعد لتغيير ملابسها. وقبل أن تفعل ذلك كان هناك صوت في مفتاح الباب الذي يتحرك بهدوء (انه ليس باب الحديقة)، انه باب المكان الذي ادخلت فيه) فاذا برأس (ايما) يطل عليهما «بوني، سليفيا، هل انتما بخير؟ والآن تستطيعان ان تخرجا وتتمتعا بالدفء فقد خرجت ديانا بعيداً عن المنزل وذهبت (آلس) الى النوم» وشعرت (بوني) بالدموع تنهمر غزيرة من عينيها لفرط طيبة (ايما). ولكن كم كان الوقت حرجاً منذراً بسوء متوقع ففي أية لحظة كان من الممكن ان يأتي (سيمون) ولم يكن بود بوني ان يعرف أي أحد بان هناك شخصا يساعدها على الهرب. فهمست في اذن سليفيا، انتظري هنا يا سليفيا دقيقتين فقط دقيقتين وسأعود حالا». وركضت خارج مخزن الفحم. كانت (ايما) واقفة مع عدد من الاطفال في الممر المؤدي الى المطبخ، واشار أحد

الاطفـال الى الاعـلى محذراً يعني ذلك على الجميع أن يسكتـوا. والاسمعتهم آلس من غرفتها. وكانت (بوني) سعيـدة جداً، فهي لم تكن تعلم ان لديها شعبية لدى الاطفال في مدرسة السيدة برسكت. ومن دون أن تشعر احتضنت بوني ايما وقالت «يا ايما لن انسى هذا التصرف الجميل منك اذا ما خرجت من هذا المكان الكريه!» (اوه اتمنى ان يكون ذلك الليلة) قالت لنفسها «ولكن يجب ان تتـركينـا في مخـزن الفحم انا وسليفيا) فاذا ما عادت السيدة برسكت أو ديانا ولم تجدكم في مكانكم ستقعون في مشكلة كبيرة. ونظرت الى وجوه الاطفال القلقين وتمنت أن تستطيع فعل شيء لهم، وفجأة خطرت فكرة. فركضت الى جناح السيدة برسكت وجلبت قطعاً كبيرة من الجبن والتي كانت المديرة تحتفظ بها لاعطائها هدايا لأولئك المتكلمين هاكم اسرعوا يا اطفال كلو ذلك» وقطعت الجبن قطعاً متساوية، فصرخ الاطفال فرحين «جبن؟ ها اوه يا بوني انه جبن» «انه جبن لذيذ» واكلوه بطريقة شرهة، ولكن فجـأة قالت ايما: «ماذا ستفعل السيدة برسكت حين تكتشف ذلك؟ فقـالت بوني بفـرح: «انا ساعتني بالامـر» وكـانت قد كتبت على ورقـة «هذا ما سندفعه

للجبن». ثم وقعت الورقـة باسمهـا ووضعت الجنيـه الذهبي الذي اخرجته من جيبها ووضعته على الورقة، على طاولة الكتـابـة التـابـع للسيدة برسكت «ستكون غاضبة ولكنني انا التي سأعاقب والأن يا ايما يجب ان تغلقي علينا الباب وتعيدي المفتاح الى مكانه» فاعترضت (ايما) لكن (بوني) اجابتها «واعدك بان ستكون هناك نهاية سعيدة».

وأومأت برأسها مؤكدة ذلك وعادت الى مخزن الفحم. وبألم شديد اقفلت (ايما) الباب على الفتاتين. وبسرعة عجيبـة خلعت (بـوني) بدلة العمـل وارتـدت ملابس الصبيان. وشعرت بانها ثقيلة وغريبة الا انها مريحة: بالتأكيد انا ابدو مضحكة بهذه الملابس؟ اتمنى أن أرى شكلنا في المرآة.. والآن يا سليفيا فقد احتفظت بقطعة من الجبن لك، حاولي ان تأكليهـا، فستعطيك بعض القوة. يجب أن نأخذ ملابسنا معنا، فلا يجوز أن نتركها خلفنا اذ سيعلمـون باننا حصلنا على ملابس جديدة وحزمت (بـوني) المـلابس ووضعتها في جيبها الكبير وفي لحظة رهيبـة شعـرت بوني بأن هذا المفتـاح لن يفتح الباب الخارجية ومع ذلك فقد اخرجته بعناية فائقة من جيبها

وامسكت به بيـديهـا الاثنتين وادارته وسمعت المفتاح يدور وسقطت كومة من الثلج على وجهها وقالت: «حسن ان الجو بارد والثلج يسقط. وهذا جيد فلن نترك أي أثر لاقدامنا. والآن يا سليفيا يجب أن تضعي معطفي عليك اضافة الى معطفك». ووضعته على كتف ابنة عمها التي كانت حقاً مريضة ومتعبة ولا تستطيع أن تعترض على أي شيء. وكادت (بوني) أن ترفعها من المنحدر الذي كان في المخزن لفرط ضعفها. وخرجتا وأغلقت (بوني) بعدها الباب ووضعت المفتاح في جيبها وحثت سليفيا على المشي السريع للامام وقد وضعت بوني ذراعيها حول سليفيا. «نستطيع ان نختبيء في أشجار الغار» وهمست «هناك شجـيرات سميكة قرب السياج فاذا ما. عادت السيدة (برسكت) أو (ديانا) الى المنزل فلن تستطيعا رؤيتنا.

نستـطيـع ان نسمـع صوت ساعـة الكنيسة تعلن العاشرة ومتوقع ان يأتي سيمون في أية لحظة وحقاً حين وصلتـا الى السيـاج كان صوت سيمون ينادي هامساً «آنسة بوني... آنسة سليفيا هل حقيقة انتما هنا؟» «نعم ها نحن هنا» قالت بوني وركضت بسرعة لتفتح الباب.

الفصل التاسع

«ان سليفيا مريضة» همست بوني لسيمون في اللحظة التي خرجوا منها عبر البوابة الخارجية «فهي لا تستطيع المشي واعتقد انه يجب علينا ان نحملها»

قال سيمون:

-«كلا فهي تستطيع الذهاب بوساطة العربة» ثم رأت بوني بأنه قد جلب معه عربة جميلة يجرها حمار صغير. ولمعت عيناها من شدة الفرح.

-«ماذا؟ انها الشيء المطلوب، أليست هي الموجودة في

ولوباي التي نستعملها في نزهاتنا؟» «نعم» همس سيمون «هيا لنذهب بسرعة ومن ثم سأشرح لك بعد ذلك» وبينما هما كذلك رفعا سليفيا المرتجفة الى العربة، وتنهدت حين لمس جلدها شيء مريح موجود في العربة. «ما هذا» قالت بوني «انه الأوز... لاتخافي فهو لن يؤذيها، والاوزات هادئة ومريحة» ووضع سيمون سليفيا بهدوء ومهارة، ثم غطاها بعدة اغطية ودفع سيمون ان الاوزات الثلاث الى احدى جهات العربة في حين كانت سليفيا تستقر على الجانب الآخر! وصارت تستطيع الحركة في حين كانت لا تستطيع الحركة على الجهتين.

«خذي هذه الاغطية يا بوني اذ ستكون دافئة» وفي الحقيقة كان دفء الاغطية والاجسام الريشية التي بجانبها والراحة جعلتها تنام فوراً ولم تشعر سليفيا بحركة العربة «هل ستركبين العربة يا آنسة بوني؟» «كلا سأركب معك في مقدمة العربة» «حسناً لنذهب اذن». طلب منها سيمون ثم مشوا بالعربة وقد شد سيمون حبالاً حول العجلات، ثم ساروا بهدوء فوق الشارع. وكان الصوت الوحيد المسموع هو صوت اقدام الحمار وبعد أن عبروا عدة زوايا وتركوا عدة شوارع بينهم وبين

المدرسة، كان كل من سيمون وبوني يتنفس الصعداء. «لن يستطيع أحد ان يلاحظ علاماتنا» قالت بوني حين عبروا شارعاً كبيراً مضاءاً في وسط المدينة على الرغم من ان الوقت كان في منتصف الليل.

وكانت سيارات الترام ما تزال تتفرق الى الاعلى والاسفل، وعمال المصانع ما يزالون يروحون ذهاباً وايابا «بالتأكيد لن يستطيع أحد أن يميز بانك الآنسه غرين، فأنت تبدين صبياً حقيقياً في هذه الملابس وقصة الشعر هذه.

هاك لقد اشتريت لك هذه» واستدار وجلب قبعة من العربة ووضع واحدة اخرى فوق رأس المسكينة النائمة سليفيا واعطى الاخرى لبوني والتي وضعتها على رأسها بامتنان وشكر عميقين، وقد كان الثلج يتساقط بغزارة وكثافة وعلى نحو سريع. «لقد صنعتها لكما الآنسة (پاترن) ولم تكن قد انتهت حين جلبت لكما الملابس» «پاترن؟ هل هي التي عملت الملابس؟» «لقد صنعتها بنفسها حين عرفت بانني ذاهب لمساعدتكما وجلب (جيمس) العربة والحمار وكانت الآنسة سلفكارب توشك ان تبيعها ولكن (جيمس) أخبرها بانها عائدة الى باريس

ثم خبـأهـا واعتقد الجميع بانها الشيء المناسب لهذه الرحلة وأعطتني الانسة (پاترن) صحن حلويات وبعض الاكـواب والصحـون وقـطعـة من الكعك الكبيرة وهي جميعها خلف المقعد وسنأكلها بعد ذلك. واستطيع ان اقول بانك قوية ماهرة يا آنسة (بوني) ولكن ليس قبل ان نصـل الى المـدينة» فتساءلت بوني «أين پاترن؟» «لقد عادت الى والدتهـا وبعثت بتحيـاتها لكم ولم تجرؤ ان تطلب منكمـا الاتصـال بها لأن الآنسة سلفكارب تمر عليهـا كل يوم وان بيتهم مكـون من غرفـة واحدة كما تعلمين واذا ما حاولت البحث عنك فسوف ينكشف الامر هناك فالافضل عدم التفكير برؤية پاترن»

-«وهل ما يزال جيمس في المنزل؟»

نعم فهو الذي أعطاني الجنيهات من أجرته لاضعها في جيب ملابسكمـا وهو يعلم جيداً بان هذه الجنيهات قليلة» «لقـد صرفت الجنيـه الذي لدي قبـل قليـل يا سيمون» هذا التصرف لائق بك يا آنسة بوني». فقالت بوني «سيمـون انه شيء فظيع في أن تستمر وتناديني (آنسة) نادني باسمي فقط بوني». فأومأ سيمون برأسه موافقاً ومجيباً بصورة غير مباشرة «وهل احتفظت بمفتاح

مخزن الفحم عندك؟» سأل سيمون وأردف قائلاً «يمكن التخلص من هذا المفتاح». وكانوا يعبرون الجسر المطل على النهر المزدحم بالمارة وحاملي الصوف والفحم وبالعربات حين أخرجت بوني المفتاح والبدلتين والتي وضعوها في لفة من القماش ووضعوا شيئاً ثقيلاً في داخلها ورموا جميع الاشياء في النهر واستمروا في طريقهم بقلوب غمرها الفرح.

وكان طريق المدينة يؤدي الى الريف ولم يتمكنوا ان يميزوا الطريق في الظلام لكن (بوني) استطاعت ان ترى بعض مناظر التلال المغطاة بالثلوج وبين حين وآخر كانت تستطيع أن تميز عربة أو برجاً. ثم عبروا بعد ذلك الحقول التي كانت محاطة بسياج من الحجر الصلد وبعد مدة كانوا يتسلقون أعلى المنحدر الذي كان بداية السهول والغابات. «يستحسن ان تنامي قليلاً» اقترح سيمون على (بوني) منذ ساعات مضت «فنحن الآن في مأمن وسيحل الصباح بعد حين» «وماذا بشأن الذئاب ألن نكون في خطر منها؟» يستحسن بي أن اساعدك بدلاً من النوم. هل أحضرت معك بندقية؟ «نعم فلدي بندقية صغيرة، ولقد اعطاني (جيمس) مسدسهكم الصغير وهو

الآن في العربة ولكني أشك في ان الذئاب ستهجم فنحن الآن في اذار والربيع قادم وفيه تنتقل الذئاب الى الشمال. ولم نر أي ذئب منذ عبرنا السفوح الكبيرة». «وماذا سنفعل بشأن سليفيا يا سيمون فيجب ان نتوقف في مكان ما حتى تسترجع شيئاً من عافيتها بحيث تسمح لها بمواصلة الرحلة». «كنت افكر بذلك وأعلم ان هناك اماكن جيدة ومناسبة وسنصلها في الساعة السادسة صباحاً حيث نستطيع أن نضع العربة هناك وننام قليلاً» «حسناً يا سيمون سأفعل ذلك» قالت بوني التي بدا عليها النعاس «اذا كنت متأكداً من أن الحمار يستطيع ان يصمد لهذا الثقل» وربتت على انف الحمار «كارولين تستطيع ان تسحب أحمالاً اثقل من هذه». وبعد مدة توقفت العربة وتسلقت بحذر وصعدت بوني بهدوء حتى لاتوقظ سليفيا وصنعت مكاناً لنفسها بالقرب من الاوزات وراحت في اغفاءة سريعة. وحينما استيقظت من نومها تساءلت في نفسها مدة ثوان قصيرة في أي مكان هي. ولم تكن هناك أجراس تدق ولا أصوات مزعجة، وبدلاً من شعورها بالبرد والارتجاف تحت بطانية واحدة خفيفة كانت مرتاحة ودافئة وهبت نسمة عليلة باردة فلمست

وجهها وتحركت العربة متناهية همست: «سيمون» وجاء صوته من مكان ما من الامام «نعم» «هلا اوقفت العربة قليلاً فانا أريد ان انزل» قال سيمون «لا أرى ضرورة لذلك، فنحن سنصل قريباً واعتدلت بوني في مكانها ونظرت حولها وكانت السماء ما تزال مظلمة، ولكن ضوء النهار كان يبعث بخيوطه الرفيعة من الشرق، ورأت الاشجار الخضراء وأشجار الليمون منتشرة على جانبي الطريق.

ثم التفتت (بوني) خلفها فرأت بأنهم قد عبروا تلالاً كبيرة كانت قممها غائرة في ظلام سماء الشمال. وأمامهم كان هناك عدد من الوديان ومنعطفات، من الطرق البيض ذات المعالم الواضحة وكانت الطريق تؤدي الى تلال كبيرة ويقع على جانبيها الريف الهادىء ذو الصور الرائعة التي تملأها زقزقة العصافير وكانت تواً قد استيقظت من نومها. «هنا سنفطر» أشار سيمون باصبعيه الى الامام فهذه هي (هير ونديل) ونحن الآن بعيدون عن الشارع الرئيس ولا يستطيع أحد ان يعثر علينا». ثم بدأ يصفر بهدوء اثناء سيره، وبوني تتفرج على السماء وقد انتشرت فيها الاشعة الصفراء الشاحبة

والتي تتغير الى لون برتقالي مشع ثم احمر ثم اخذت ترتفع حتى اصبح لونها ذهبياً «سيمون» «ماذا؟» «هناك ثلج امامنا». «انه غالباً ما يكون هكذا» قال سيمون «لقد تركنا الثلج في الجهة الثانية من (وند ساير) أما نحن هنا في (هير ونديل) فسيكون الجو دافئاً». وبعد ذلك وصلوا الى آخر المنحدر في القرية. ثم سمح سيمون لبوني أن تنزل من العربة في حين قام هو بترتيب وتعديل العجلات وتثبيتها حتى لا تنزلق العربة من المنحدر بسرعة وطيلة هذا الوقت كانت سليفيا مستغرقة في نوم عميق وفزعت قليلاً حين وصلو أسفل التل ومشوا بالقرب من الاشجار الى قرية صغيرة تحتوي على ثلاثة او اربعة اكواخ حول منطقة خضراء محاطة بمزارع كبيرة.

-«سنذهب الى محل حدادة» قال سيمون وقد قاد الحمار عبر المنطقة الخضراء الى بناية صغيرة تحت شجرة الفستق. ومشت (بوني) بجانب العربة مبتسمة في وجه سليفيا الناعس. وبدأت الاوزات بالاستيقاظ ورفع اعناقها الطويلة. وحين نظرت سليفيا اليها فزعت لاول وهلة. لكنها حين رأت (بوني) ابتسمت واغلقت عينيها مطمئنة وعادت الى الابتسامة والعودة الى النوم ثانية «ان

سميث مستيقظ» قال سيمون وكان هناك دخان متصاعد من مدخنة المنزل.

وقد كان بامكانهم رؤية قطعة حمراء على باب الاصطبل الامامي في حين كانت اصوات الدق العالية تصل بانتظام. وصاح سيمون عندما عبر الباب «السيد ولدنس» وتوقف صوت المطرقة وكان هناك دق ثم ظهر وجه خلال الباب وكان الحداد! لقد كان رجلاً كبيراً يرتدي صداراً من الجلد الاسود. ولم تستطع بوني ان تمنع نفسها من الضحك لانه بدا وكأنه اسد مصور بشعره الكثيف الابيض وبزوج من عينين تشبه عيني الكلب الالماني ومغطاة بخصل الشعر البيض الساقط على جبينه فأخفت جزءاً منهما «ها! هذا أنت يا سيمون؟ ما الذي استطيع ان اساعدك به».

«لقد اضاعت كارولين احد احذيتها» قال سيمون وهو يربت على ظهر الحمار.

-«ونحن نود أن نعرف ما هي نصيحتك للفتاة الصغيرة فهي لا تبدو بصحة جيدة» «أن الاطفال مثل الحمير» قال السيد (ولودنس) وقد مشى الى جانب العربة

ونـظر الى وجه (سليفيا) من بين الاوز. «آه هذه الفتاة الصغيرة الجميلة ماذا بها» «لقد أصابها السعال بسبب الحمى» قالت بوني ونـظر الحداد الى بوني يتفحصها «هذه هي الفتاة الاخرى منهما. يا آلهي من كان يتصور؟ لقد ظننتها صبياً في هذه القبعة! انها ستنام مرتاحة بهذا الفـراش ولم نستطع توفير احسن منه. هل هذا ريش الاوزات؟» قال لسيمـون «لقـد رتبت الريش والمفارش بنفسي» قال سيمون «تلك هي اوزاتي» «يا لك من بطل» إن ريش الاوز جيد للصحة والراحة وهو مفيد لمكافحة البرد، سندعها تبقى في العربة» فتساءلت بوني «أليس من الضروري ان نضعها في الفراش؟».

«ولكن اين نضعها يا سيدتي؟ فانا لدي فقط مكان الحدادة والمطبخ الذي انام فيه وحدي». «كلا سنضعها في العربة وهي ستكون في حالة جيدة» وقادهم نحو ممر الحدادة وأراهم كيف يعيدون العربة الى المزرعة الكبيرة ببوابتين. وحين فتحها تسللت اشعة الشمس الى المكان واضـاءت اركـانـه وكانت تبدو وكأنها نصف قرص ثم انتشرت على الجدران المعتمة فكشفت الظلام.

ثم علا صوت ثغـاء الخـراف الذي جاء من حظيرة

الخراف وكانت تحتوي كل حظيرة على ثلاثة أو اربعة منها.

لقد جعلها نور الصباح تنادي على بعضها بذلك الثغاء الجميل فوقفت (بوني) مبهورة بهذا المنظر حيث كانت الخراف تمرح في أماكنها، وتود لو تشاركها سليفيا هذه المتعة.

«لايجوز النوم مع الخراف يومين متتاليين لشخص مصاب بالسعال، فان تنفس الخروف يحتوي على فعالية قوية وان شراب الكرز مع ملعقة من العسل وصحنين من الحساء سيجعلها بحالة أحسن، ولا تحتاج حينئذ الى دعوة طبيب المدينة. ضعها في الخارج هنا وحين ستشرق الشمس ستفتح الباب الاخرى وتجعلها تدخل من هذه الجهة. والآن لنفطر فانا الآن جائع جداً وانتم كذلك حيث مشيتم طول الوقت عبر مدينة بلاستبرن»: «ولكننا سنتناول الفطائرة» قال سيمون «كلا احتفظ بالفطائر لفترة ما بعد الغداء. وان الحساء ما يزال على النار في هذه اللحظة، وهل هناك شيء أفضل منه!؟»

وتسلقت الاوزات داخل العربة وكانت منشغلة تبحث عن الحب الذي تأكله وارتاحت بوني بعد أن اطمأنت بأن

سليفيا قد اكلت جيداً ونامت وذهبت الى المطبخ الذي كان مفتوحاً على مكانهم. وكانت قد شعرت بشيء من الدفء وكأنها في الفرن. وجلست على طاولة وضعت عليها اغطية بيضاء. وكان الحساء الذي صنعوه يختلف تماماً عن ذلك الذي يقدم في مدرسة السيدة (برسكت) وقد أكل ممزوجاً بسكر محروق موضوع في اناء ازرق كبير تطبيه قطع من القشطة الصفراء المجهزة من بقرات السيد ولدرونس وكانت البقرتان تقفان بود واستسلام خارج المطبخ في حين كان الفطور يقدم باطمئنان وهدوء وكانت البقرتان تمسحان انف كارولين الحمار بعطف. وبعد الحساء تناولوا قطعاً من الزبدة وشربوا الشاي ثم احضر السيد ولدرنس الدواء المكون من شراب الكرز ومعه شراب اصفر اللون يحتوي على رائحة زكية واخذه الى (سليفيا) التي كانت تئن بخمول وضعف فشربته ثم نامت من دون أن تستطيع ان تشكر الرجل او أن تتذوق الطعام واغمضت عينيها مرة اخرى...

«آه: ان النوم افضل علاج لها. وتبدين يا آنسة بانك تودين النوم أنت كذلك». وشعرت (بوني) بأنها لا تستطيع الا ان تتثاءب فصنع سيمون مكاناً لها وغطاها

بأحد الاغطية المصنوعة من ريش الاوز، وهنا في الشمس وفي المكان المريح الذي يحتوي على الخراف استغرقت بوني بنوم عميق. وبقوا مع السيد (ولدرنس) ثلاثة أيام حتى اعلن ان سليفيا قد تحسنت صحتها فهي الآن جاهزة للسفر. وفي الوقت نفسه ساعد (سيمون) الرجل في اشعال النار وحمل الحطب من المزرعة. وغسلت (بوني) جميع الستائر وأغطية المنضدة والنوم وبمساعدة (سيمون) نظفت الكوخ وقالت «قبل شهرين لم اكن أعرف كيف أقوم بهذه الاعمال، فالذهاب الى مدرسة السيدة برسكت علمتني العديد من الاعمال المنزلية والعناية بالدواجن». وكان السيد ولدرنس حزيناً لذهابهم «لو استطعتم البقاء اسبوعين أو ثلاثة لرأيتم الطيور كيف تبني أعشاشها ولرأيتم الزهور تتفتح بوجوهها المنورة الوردية». «وجوه وردية؟» تعجبت بوني «ألا تقصد بأنها صفراء» «كلا فهنا يكون لونها وردياً، وان زهر الجيرانيوم يكون لونه ازرق». قال ولدرنس «ولكن حتى بهذه الاشياء المقنعة أرادوا الذهاب الى لندن ورحلوا بعد أن ودعوا السيد وهم يعدونه بأنهم سيعيدون الكرة اي يأتون لزيارته بعد العودة بسلام الى ولوباي.

واستغرقت الرحلة الى لندن شهرين اثنين وساروا في طريق العودة يقطفون الازهار التي وجدوها تتفتح كلما تقدموا نحو الجنوب وكانوا مستمتعين بكل ما يرونه يتفرجون على الطيور ويقفون ليسبحوا في الجداول مساءً. وحين يحل الليل ينصبون خيمتهم قرب المزارع. انها العربة التي يرتاحون في ظلها حين يفرشون ريش الاوز ليجعلوه فراشاً لهم. واذا أمطرت السماء كان المزارعون يعرضون عليهم أماكن ليجتمعوا بها وفي أغلب الاحيان كانت تدعوهم زوجات المزارعين ليأكلوا طبقاً من اللحم ويجهزونهم بالفطائر والفواكه. وكانت (سليفيا) تقوم بالخياطة بمهارة وتأن تساعدها (بوني) في أعمال البيت، أما (سيمون) الذي يستطيع ان يقوم بكل عمل فكان يحرث أو يحلب البقرة ويقطع الاخشاب ويقوم بتصليح الالات وكانت (پاترن) قد أرسلت كتاباً او كتابين وصندوق بوني الخاص بالرسم وقد اخذت ذلك من الكوة المنزوية في بيتهم الكبير ثم أخرجوها من العربة مع الطعام والملابس. كانت كلها مصادر جيدة لقضاء الوقت في الاماسي الممطرة، حيث أخذ كل واحد يقرأ على الآخر. أما سيمون الذي لم يقرأ من قبل فقد تعلم كيف

يقرأ كما بدأ يتلفظ الكلمات على نحو جيد وصار يستمتع بصندوق الألوان محاولاً أن يرسم بعض مناظر انحدار الماء. الفتاتان كانتا تركبان كارولين والعربة وتلعبان مع الاوزات وحين ينتهي (سيمون) من الرسم كان يأخذها وينطلق حاملاً معهم صندوق الرسم تحت ذراعيه تاركاً أوراق الرسم مفتوحة حتى تجف الالوان. وخيل لسليفيا وبوني بان رسومه جميلة جداً. ولكن (سيمون) لم يقتنع بها. كان بوده أن يعرضها لأي شخص يمر بقربه ويظن بانه سيعجب بها. وفي بعض الاحيان كان بعض المارة يمنحه مبلغاً من المال ثمناً لهذه الصور. وفي احدى المرات حين توقفوا في قرية تدعى (بكسايد) ومروا بحانة وكان صاحب الحانة قد رأى لوحة لعبة السلّم والافعى والتي كان قد رسمها سيمون، سأله صاحب الحانة اذا كان يوافق على اعادة رسم بعض اللوحات الموجودة في الحانة وسر الاطفال حين قضوا يوماً جميلاً في القرية يأكلون براحة تامة على احدى مناضد الحانة لحم البط اللذيذ والكعك المحشى بالتفاح في حين كان سيمون يرسم صورة حاوي الافعى وهو يتسلق السلم «ماذا تعتقد يا سيمون هل تريد أن تصبح رساماً؟» تساءلت سليفيا

«ربما! فانا لم افكر بمثل هذه التجارة من قبل ولكن يبدو ان هناك الكثير الذي يجب أن أتعلمه، ولكن اخشى باني لا املك المبلغ الذي ادفعه للمدرس». وفتحت (بوني) شفتيها لتتكلم ولكنها سكتت ولم تنبس ببنت شفة وفي نهاية شهر نيسان وصلوا الى قمة تل (هامبستيد) الذي كان محاطاً بالبيوت الرمادية القديمة والاشجار الخضر الصغيرة. وفي نهاية سفح التل استطاعوا رؤية قرية (جوك) وهناك من بعيد كانت تطل عليهم

مدينة لندن الكبيرة بأعمدة الدخان الزرق العالية ومداخنها الكبيرة. وشعرت سليفيا بدقات قلبها تسرع لمجرد التفكير بانها ستكون قريبة من العمة جين مرة اخرى. وكم ستفرح العمة لرؤية ابنة اخيها العزيزة. ونصبوا الخيم في تلك الليلة في هامستيد قرب قبائل الغجر، وكان الاطفال يبدون وكأنهم بعض من الغجر، قد علت وجه (بوني) و (سيمون) سمرة خفيفة حتى صارا وكأنهما فاكهة العليق وكانت خصلات شعرهما السود تحتاج الى تعديل وتسريح، أما سليفيا فلم يكن باستطاعة أحد ان يميزها بسهولة لانها طفلة صغيرة ضعيفة شاحبة الوجه وكانت حين ذهبت الى (ولوباي) قبل عدة

شهور على غير ما هي عليه الآن حيث كانت بخدين متوردين وشعرها الغزير اللامع، على الرغم من انه لم يكن بطوله الحقيقي. الا انه يصل الى كتفيها. لقد وجدوا في قرية (هامبستيد) رجل البان سمح لهم بالاحتفال بكارولين والعربة في الاصطبل الخاص به. وفي اليوم التالي أخذوا الأوز معهم الى لندن. «انتما ايتها الفتاتان لايجوز أن تأتيا الى سوق سمث فيلد»، قال سيمون «فان هذا المكان موحش وغير ملائم للفتيات الصغيرات».

-«كنت اتساءل كيف يمكننا الاتصال بمكتب السيد غريب في حين تكون أنت في السوق فان سليفيا تستطيع أن تخبرنا عن اماكن تواجد المحامين في لندن». قالت بوني. فقالت سليفيا بأنها تعتقد بأن هذه المكاتب في منطقة (چانسماري).

ورافقت الفتاتان (سيمون) حتى وصلوا الى حانة لنكولن، ثم تركهما سيمون مع كوزي وداندي البطتين الكبيرتين اللتين لا يبيعهما في حين ذهب حاملاً معه الاوزتين الصغيرتين ليبيعهما وكانت تجولات بوني وسليفيا خارج المنازل المحاطة بالحقول التي كانت تحمل على أبوابها قطعاً من النحاس لاشخاص عدة لهم أعمال

خاصة مثلاً (محامون ـ قضاة ـ محلفون)

ولكن لم يكن اسم السيد غريب معهم، وبحدود منتصف النهار كانت الفتاتان قد تعبتا، فاستلقتا على العشب الاخضر تأكلان قطعاً من اللحم البارد وقطع حلوى مصنوعة من الليمون ابتاعاها من أقرب محل طعام وفجأة قالت بوني:

ـ«انظري يا سليفيا انظري، أليس هذا هو السيد غرمشو؟»

وكان رجل متوسط العمر يمشي عبر الحقول ذاهبا نحو طريق مقوس وتفحصته حين رأته سليفيا عن قرب وهمست «نعم أنا جد متأكدة بانه هو آه: لو ادار رأسه نحونا!». «يجب أن نتبعه ونتأكد منه» قالت بوني: «فاذا كان هو في لندن فاننا سنكون تحت حمايته» وقامت الفتاتان حاملتين معهما الاوزتين ومشيتا بسرعة، ولكن لم تكن السرعة التي تثير انتباهه، وعبر الطريق وتسارعت بعض خطواته ثم استدار نحو شارع صغير حيث وقف امام احدى الدور الموجودة هناك «ربما هذا هو مكان اقامته» همست سليفيا ثم اقتربتا ببطء، ولكن لسوء الحظ كانت قطة سوداء قد كورت نفسها على الرصيف،

واذا كانت الاوزة تخاف من شيء فأنها هذه القطة فقفزت واقفة وبصوت عال بدأت الاوزة تصيح، وكان الرجل يوشك أن يدق جرس الباب حين سمع الاصوات، فاستدار برأسه نحو الفتاتين ونظر الى بوني ثم نظر بحدة الى (سليفيا) للحظات ثم انفتحت الباب فقالت سليفيا «يا آلهي هل تعتقدين يا بوني بان الرجل قد عرفنا؟ فهو بلا شك السيد غرمشو والا لما كنت جلست امامه مدة طويلة في القطار! يا آلهي هل انا مخطئة في معرفته! انا غير متأكدة من انه غرفني» قالت بوني «ممكن ذلك فأنت لم تحترقي بالشمس مثلي ومثل سيمون، ينبغي ان لا نبقى في هذه المنطقة.

وحين كانتا تستديران للعودة الى مكانهما وقعت عينا بوني على قطعة الاسم على الباب الذي دخل منه السيد غرمشو «انظري يا سليفيا (ابندغو غريب) المحامي انه رجل أعمال والدي، أليست هذه مصادفة جميلة؟» هل ان ذلك مصادفة حقاً؟» قالت سليفيا غير مصدقة هذا الامر، حين أرجعتا خطواتهما نحو الشارع «أنا لا احبذ حقيقة رؤية السيد غرمشو له. لماذا يفعل ذلك؟ هل لديك علم بذلك؟» «كلا! إنك على حق» أجابت بوني وهي تفكر «انه شيء غريب ففي كل الاحداث يجب ان لانذهب لرؤية

السيد غريب أثناء وجود السيد (غرمشو) فالأفضل ان ننتظر حتى نرى العمة جين ونأخذ بمشورتها» بعد ذلك سارتا عدة خطوات وعند الاستدارة شاهدتا (سيمون) وهـو يعبر الشارع الى حانة لينكلولنز ملوحاً لهما بيده «هيـه يا فتيـات انها ٢٢ باوناً فقد جلبت ١٤ وثماني بنسـات لكـل واحـدة اذن نحن اغنياء الآن» تنفست سليفيا الصعداء وقالت «يا آلهي، يا له من مبلغ كبير!» «هيـا لنذهب الى العمة جين حالاً هل تود الذهاب معنا اليها؟» قالت بوني تسأل سيمون «نعم، نعم ولم لا لكن مظهري فقير ومتشرد» «لايمكن أن تكون معنا كل هذا الطريق ثم تتـركنا الآن، ولكن يمكنك ذلك حين تسوى الامور، سليفيا أخبرينا كيف الوصول الى بارك لين؟» ثم انهـوا الاميال الـ ٤٠٠ الاخيرة راكبين مركبة مفتوحة السـطح مسحوبة بالخيول، ومعهم الاوزات. ولكن على الرغم من أن سليفيـا لم تستـطع ان تتصور ما الذي ستقـوله العمـة (جـين) حين تراهم بهـذه الحالة؟ هل ستكون قرب نافذتها تنظر الى الخارج حين سيصلون؟ وقد كانت العمة تخبرها ولعدة مرات في انه ليس هناك سيدة تستطيع الركوب في مثل تلك المركبة التي جاءوا بها وخاصـة في الطابق الاعلى! «أنا أشعر بالخوف» اعترفت

سليفيا وهي تضحك وتنظر الى البيت الكبير ذي الاعمدة العالية في كل جانب من جوانب المنزل. وكانت النوافذ البيض تملأ الشرفات «انظري يا بوني هذه هي نافذتنا قرب الكوة في أعلى اليمين وعلى السطح» وقال سيمون او هذه اصص الورد على النافذة وقد ذبلت زهورها»

«هكذا هي، ان هذا ليس كمثل ورد العمة جين» قالت سليفيا متعجبة «فهي تسقي الورد دائماً». وكان الباب الرئيس للمنزل مفتوحاً فدخلوا بهدوء وصعدوا السلم الى الاعلى، فاعلى، فاعلى، حتى الطابق الاخير. وحين عبروا الباب الموجود في الطابق الرابع، انفتح فجأة وخرج منه رجل وهو متعجب وقال «هل أنت البقال؟ هل أحضرت فطائري وزيت الصنوبر اوه ....؟» قال بخيبة حين رأى سيمون وبوني والاوزات. وكانت سليفيا قد دخلت من دون أن تنتظر أي شيء. ونظر اليهم الرجل باستغراب عدة لحظات ثم اغلق الباب عليهم وشاهدوا سليفيا واقفة على أعلى السلم مرة اخرى وكانت تطرق باب عمتها جين «أنه شيء عجيب فهي لا تجيب» «ربما هي في الخارج تبتاع شيئاً» قال سيمون «ولكنها تشرب الشاي كل يوم في مثل هذا الوقت» اذ كانت الساعة الخامسة.

«لايمكن ان تكون قد غيرت محلها» قالت بوني وقد

غاص قلبها بين جنبيها واعتصره الالم. «كلا» قالت سليفيا بارتياح «هناك مفتاح الباب الاحتياطي، فهي تحتفظ به تحت صندوق النفط اذا ما خرجت الى مكان خشية أن يضيع منها المفتاح الذي لديها. وبالتأكيد هي غير موجودة وسندخل ونفاجئها بعودتنا». وفتحت الباب بالمفتاح ونبهتهما بوضع اصبعها على فمها حتى لا يحدثان صوتاً، ومشوا على رؤوس اصابعهم يتبعها سيمون وبوني وجلين ووقفوا بتردد في الصالة، في حين دخلت سليفيا الى الغرفة الاخرى والتي تقدم فيها العمة جين الطعام، وفجأة سمعا سليفيا تطلق صرخة مكتومة وجاءت اليهما شاحبة الوجه ترتجف خوفاً. «ماذا يا سليفيا؟» قالت بوني باستغراب «انها العمة جين! اوه! اعتقد انها مريضة جداً او ربما تكون فاقدة الوعي.. انها هناك تبدو ضعيفة جداً وشاحبة الوجه متقطعة الانفاس...» ومشيا خلفها ووقف (سيمون) لحظة ووضع الاوزات على الارض. ثم شاهدوا المرأة العجوز على فراشها نائمة بضعف تحت غطائها المكون من العباءة. وكانت عيناها مغلقتين تتنفس سريعاً «عمة جين» همست سليفيا «هذه انا سلفيا يا عمتي» ولم يكن هناك جواب أي جواب.

الفصل العاشر

وعاد الاطفال الثلاثة الى أعلى السلم مرة اخرى، فقد بدا الامر حزيناً في الغرفة، فصاروا يتكلمون عن العمة جين وغيابها عن الوعي اثناء حضورهم ولاحظت سليفيا بان النافذة كانت مغلقة والصحون ما تزال على منضدة الطعام فيها آثار من طعام سابق كما ان طبقة سميكة من التراب تغطي المكان.

«ما الامر الذي تعتقد انه قد حدث بها؟» تساءلت سليفيا بصوت مرتجف «لا أعلم» قالت بوني «ولكن مهما

يكن فعلينا ان نحضر لها الطبيب فوراً»

«نعم يا بوني... كم هو معقـول تصرفـك! ولكن أين سنجد طبيباً؟»

«اليس للعمـة جين طبيب خاص يزورهـا بانتظام».

«كانت تقول دائماً بانها لا تستطيع آن تستدعي واحداً قالت سليفيا وهي تمسح دموعها، «فهي دائماً تقول بأن جميع امراضها يجب ان تعالج بواسطة حبوب باركنسون».

والآن تعالي يا سليفيا، لا تبكي مرة اخرى قالت بوني وهي تقترب منها، لكنها كانت قلقة هي الاخرى في حين قطع سيمـون السكون بقوله «اعتقد بأنني رأيت ورقة طبيب على الارض تحت الفراش، انتظرا لحظة فسأذهب وأتأكد» ثم دفع الاوزات من طريقه حيث كانت متكورة على بعضها فوق السلم وركض الى أسفل السلم وتأكد بأنه كان خارج انباب التي مد خلالها راسه، كانت هناك قطعة مكتوب عليها (جبريل فيلد) طبيب جراح.

وطرق سيمـون البـاب، وأجـابـه صوت واضح من الداخل: «تفضل، الباب مفتوح، ثم فتح سيمون الباب ونظر الى الغرفة التي كانت غير منظمة كل شيء فيها مبعثر

فهناك عدد كبير من الرفوف المعلقة على الجدران تحمل عدداً كبيراً من القناني المتراكمة وادوات جراحية نضدت مع بعضها. كما كانت هناك منضدة كبيرة مغطاة بالفرش وقناني اصباغ في حين كانت الارض مليئة بالحبوب واعمدة مرصوصة بالكتب الطبية. وكان الرجل الذي نظر قبل قليل خلال الباب قد وقف وبيده فرشاة صبغ وهو يتفحص نوعاً من الصبغة الموضوعة في لوحة رسم كبيرة «هـذا أنت مرة اخرى» قال الرجل «اليس كذلك؟» وقد رأى وجه سيمون في الغرفة «ماذا تريد؟» وأحس سيمون بشيء من الطمـأنينة في تصرفه فقال «ارجوك! هل انت الدكتـور فيلد يا سيـدي؟» «نعم انـا هو». ان السيدة العجـوز في الاعـلى مريضة جداً، هل بامكانك الكشف عليها؟»، «نعم بالتأكيد، انتظر دقيقة واحدة حتى انظف يدي» وفي الوقت الذي كان الدكتور يغسل يديه ويجلب حقيبتـه السـوداء ذات الادويـة من غرفـة نومه، كان سيمون يتطلع الى الصورة الموضوعة على المسند «هل تعجبـك؟» قال الدكتور وقد عاد من غرفته. «نعم» قال سيمون «نعم انها تعجبني جداً ولكنني غير راض عن الزاوية اليمنى فهي تبدو غامضة قليلاً» ونظر الطبيب الى

(سيمـون) باعجاب قبل أن يشير الى الباب مسرعاً الى اعلى السلم. ثم سار سريعاً أمام الفتاتين والاوزات من دون أي تعنيو، وسار في طريقه الى غرفة العمة (جين). فلتتقـدم احـداكمـا لتسـاعـدني» قال ذلك فركضت (سليفيـا) في حين بقي الاثنـان في مكانهما على السلم ينظران بصمت ودهشة كان يجب عليهم ان ينتظروا مدة من الوقت، اذ كان الطبيب يفحص العمة (جين) ثم خرج مع سليفيا ووقفت على السلم مرة اخرى. «انها عمتكم اليس كذلك؟» قال بحدة «لقد كنتم تهملونها فهي الآن تعاني من سوء التغذية» ولم يفهم أحد منهم مغزى ما قاله ثم أضاف قائلاً»

فقـد كانت تجـوع نفسها». وبدأت سليفيا بالبكاء «اوه! يا للمسكينة يا عمة جين، ما كان ينبغي علي ان اتركها» فقال الطبيب متأثراً ومنفعلاً «أنا الملام أيضاً. اذ قد رأيتهـا تصعد السلم قبل عدة أسابيع حاملة معها المشتريات، بيضة واحدة وتفاحة على ما اعتقد»

«ومـا الذي تحتاجه العمة يا سيدي؟» قال سيمون «سأذهب حالاً لاجلبه لها»° «اولاً شامبانيا، فهي ضعيفة جداً لا تقوى على تناول أي شيء ولا داعي لازعاج نفسك

بذلك، فلدي زجاجة واحدة في غرفتي، ثم اعطها الشاي واللحم والبيض والحليب والزبـدة». «حسنـاً سنذهب ونحضرها» قالت بوني «تعالَ يا سيمون فقد رأيت سلة في غرفـة العمـة جين، وأنت يا سليفيـا ابقي مع الطبيب واحضري الشامبانيا. هل تستطيع أن ترشدنا الى أقرب مخـزن؟ فقد حضرنا من لندن لتونا ولا نعرف الاماكن والطرق هنا».

وأخبرهم الدكتور (فيلد) عن أقرب سوق هنا وركضتا بسلتهمـا نحـوه، في حين قامت سليفيـا باعطاء العمة (جـين) شيئاً من شراب الشامبانيا بالملعقة وذلك بفتح شفتيهـا الجـامدتين، «أنت ابنة اخ العمة جين اليس كذلك؟» قال الطبيب «حين آتيت الى هذا المنزل قبل شهر كنت اعتقـد بانهـا ليس لها أي اقارب اطلاقاً. انها في المـرحلة الصعبة من عمرها هذا ويجب ان يعتني احد بها.». وتفحصت (سليفيا) الطبيب فقد كان رجلاً طيباً ومعقولاً فوثقت به مما جعلها تسرد له القصة كاملة، ولم تكتف بذلك بل طلبت مشورته، لكنها قالت لنفسها بأن عليها ان تنتظر عودة الغائبين. وعاد سيمون وبوني وكانا محملين بالطعـام وبكيس صغير من الفحم اضافة الى

ذلك. وكانت بوني تحمل بطانية ومعطفاً.

وحين كانوا جميعاً خارج المنزل كان هناك نقاش صغير بينهم، «يا سيمون ان هذه هي نقودك السنوية ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك». «اوه هذا هراء!» قال «اي شخص يقوم بهذه الاعمال من أجل هذه المرأة» «حسناً يا سيمون سأعيد لك المبلغ عندما اتمكن من ذلك اذا ما استعدنا منزلنا ونقودنا» ولكن اذا حصل غير ذلك فستفهم بانه يجب ان تنتظر حتى ادخر بعض النقود والله يعلم كم شهراً سيستغرق ذلك». «اود انسي ذلك يا فتاة فانت تضيعين الوقت بهذا الكلام. قال سيمون بحسن نية. واقترح الطبيب (فيلد) ان يقوموا بطبخ الطعام في غرفته حتى لا يضايقوا المرأة العجوز. لذلك فقد استعارت (بوني) كتاب الطبخ للعمة (جين) ووضعت اللحم في الماء الساخن مع بعض الخضروات والجبن ووضعت ملعقة طعام من شراب البراندي. وأشعل سيمون النار في غرفة العمة (جين) ونظفت (سليفيا) المكان ورتبته بهدوء وكان الطبيب يأتي بين حين وحين ليعطي العمة ملعقة اخرى من الشامبانيا ثم اعطى تقريراً عن تحسين حالتها وانتظام تنفسها ثم عودة اللون

الى خديهـا. «ان ابنة عمك قد طبخت لك الطعام» قال الطبيب لسليفيا وسيمون بعد فترة: «يستحسن ان تنزلوا وتأكلوا في غرفتي».

ولقـد أحسـوا حقيقـة بأنهم لم يأكلوا طوال النهار وكانوا سعداء للنزول الى تحت. وكانت (بوني) قد طبخت كمية من البيض بالزبد وقد دعت الطبيب لمشاركتهم به. «هـل أنتم اولاد عم» قال الطبيب حين كانـوا يأكلون الطعام بين الاصباغ وقناني الدواء. «اوه: كلا، سليفيا وانا ابنتا عم لكن سيمون ليس من اقاربنا». «اوه اين بقية اهلكم»؟

ونظر الاطفال الواحد بوجه الآخر. ومن دون مناقشة قرروا بأن يثقوا بالطبيب. واخبرته (بوني) بالقصة كاملة منتهيـة بمنـظر السيـد غرمشو في مكتب المحامي هذا الصباح «آه يا دكتور؟» قالت بوني والدموع تنهمر من عينيها «هل تستطيع أن تخبرني فيما اذا كانت السفينة التي فيهـا والداي قد غرقت حقـاً؟» «ما هو اسمها؟» «تسلي» «اوه نعم يا عزيزتي» قال الطبيب بحزن «اتمنى لو استطيع ان أقول شيئاً آخر، ولكنني قرأت المقال في جريدة (التايمس) بنفسي حيث ذكر في المقال «كان على

الكابتن أن يتأكد من كل شيء قبل الابحار فهو يعلم بحالة السفينة كاملة ويقال بان هناك شخصاً ما دفع له مبلغاً كبيراً لأن يقوم بهذا العمل. ويقال أيضاً بان القبطان نفسه قد هرب بقارب صغير قبل عدة ساعات من تحطمها،

ولم تستطع (بوني) أن تتكلم بكلمة واحدة فادارت رأسها نحو النافذة وعضت شفتيها ثم استمر الطبيب (فيلد) بالكلام ليكسر السكون الحزين الذي خيم على الجميع «ان الامر كله يبدو لي وكأنه قصة قد رتبت مسبقاً بين الآنسة سلفكارب أتت بطريقة مغلوطة لتكون عمتكم وتستعيد وصديقها العزيز (غرمشو) والسيدة برسكت».

وتساءل «هل ان السيد غريب المحامي هو الآخر له يد في هذا الموضوع ايضاً؟ لا نستطيع التأكد ولكن لدي صديق محام، وفي الوقت الذي ستتحسن صحة السيدة غرين سأسأله عما يعلمه عن السيد غريب».

«هل تستطيع حقاً يا دكتور؟ شكراً لك» ولمست قلب الطبيب الطيب الاوجه الثلاثة الشاكرة مساعدته لهم فقال «يستطيع اثنان منكم ان يناما هنا اذا رغبتم بذلك، فلدي عدد كبير من المفارش والاغطية فقط ازيحوا هذه

الكتب والصور والهيكل العظمي على الاريكة». وصرخت سليفيا فهي لم ترَ الهيكل العظمي من قبل. احدكم يجب أن ينام في الاعلى مع العمة المريضة والافضل ان تستحموا جميعكم، فأنتم تبدون قادرين على ذلك»

وكان الشاي واللحم قد جهز الآن وبمساعدة الطبيب اعطت سليفيا بعضاً منه الى العمة (جين) والتي فتحت عينيها مرة واحدة أو مرتين، وكانت لا تستطع ان تميز أحداً منهم أو ما يحيط بها. وبمساعدة بعض بطانيات الطبيب استطاعت (سليفيا) أن تصنع لنفسها فراشاً مريحاً بقرب سرير العمة (جين) وكانوا جميعهم متعبين وراحوا يغطون في نوم عميق بمجرد ذهابهم الى الفراش وفي منتصف الليل استيقظت (سليفيا) وكانت قد تركت المصباح مضاءاً على نوره الضعيف لاحظت ان العمة (جين) قد رفعت نفسها عن الفراش واتكأت وهي تنظر بتعجب فيما حولها «آه؟ انتبهي يا عمتي» قالت سليفيا «سوف يقع الغطاء عنك». ورتبت سليفيا الشال الصوفي حول كتف العمة مرة اخرى. «انها سليفيا، كلا ولكن...» قالت العمة وهي تتمتم بكلام ضعيف «كم حلمت بعودتها، لابد أن يكون هذا حلماً آخر» «كلا..كلا انه

ليس حلماً» قالت سليفيا متناسية ان عليها ان تكون حذرة في فرحتها، واحتضنت عمتها بود «هذه أنا بحق فقد عدت لاعتني بك وجلبت بوني معي أيضاً» «سليفيا يا طفلتي العزيزة» تمتمت العمة وقد سقطت دمعتان على خدها المتغضن «والآن يا عمتي العزيزة عليك ان تكوني قوية وبصحة جيدة سريعاً، حاولي ان تشربي هذا» قالت سليفيا وقد بدأت بوضع الشاي فوق المصباح ليبقى دافئاً. وشربته العمة سريعاً وكانت ما تزال متعبة ضعيفة. وعادت الى النوم مرة اخرى ممسكة يدي سليفيا بين يديها. وشعرت سليفيا أيضاً بالنعاس وهي منحنية على سرير عمتها وهي بين نائمة ويقظة. وفي اغفاءة قصيرة حلمت في انها واقفة على قمة جبل وامامها الجسر الاسود الذي عبروه قبل أن يصلوا (هيرو نديل) ورأت في نومها الانسة سلفكارب تأتي من بلاستبرن واقفة امام مجموعة من الذئاب المفترسة. وكانت سليفيا ترتجف خوفاً وقد تسمّرت قدماها وصارت غير قادرة على الحركة والانسة (سلفكارب) تقترب وتقترب وتقترب تراقب، تراقب، تراقب... وفجأة استيقظت (سليفيا) على ضربات قلبها الضعيفة بين ضلوعها «من يمكن أن يكون هنا؟»

تساءلت في نفسها في شيء من الرعب وكان الليل ما يزال مرخياً سدوله من الظلمة الحالكة وليس هناك أي بصيص من نور ولا حتى من تحت الباب. ولو كان القادم الطبيب فبالتأكيد كان سيحضر معه مصباحاً، وكانت الخطوات بطيئة وحذرة، كأن القادم يود ان يجعل الصوت ابطأ ما يستطيع. وأدركت سليفيا حينذاك بأن عليها ان تفعل شيئاً ان تتحرك «يجب يجب». وكان هناك صوت زحف آتٍ من أعلى السلّم ثم صارت خشخشة أبرز من السابق، «ما هذا؟» قالت العمة بصوت ضعيف «ما هذا الشيء؟» قالت سليفيا مؤكدة مستفسرة أيضاً وقد شحب لونها من الخوف لكن الصوت أقلقها وهزّها في مكانها. فأخذت شمعة وركضت نحو الباب ورأت صورة غريبة جداً، ففي أعلى السلم كان هناك اوزتان ما تزالان تصرخان وقد رفعتا عنقيهما للأعلى مستعدتين لمعركة قد تقع وبصورة فعلية ورأت شخصاً ما على السلم ورأسه الى الاسفل، كان السيد غرمشو وسيمون يمسك ذراعه وبوني بالذراع الاخرى.

وكان الدكتور (فيلد) مرتدياً ملابس النوم وقد غلبه النعاس وبدا منزعجاً وهو يخرج من الباب الامامي

حاملاً معه حبلاً كان يريد ان يتقدم ليربط به كاحلي السيد غرمشو «ان كسر أبواب منازل الناس في الساعة الثالثة صباحاً» قال الطبيب «شيء سيء ومخل بالاداب، ونحن لدينا اطفال واوز يحرسون المكان» «ومن حسن الحظ ان الاوزات تنبهت وأصدرت اصواتها». قالت بوني وقد شحب لونها لكنها ممسكة بالسيد غرمشو بقوة وبصورة جيدة.

«صحيح ما قالته بوني» قال الطبيب «والآن اقفلوا عليه الدولاب جيداً، سوف أذهب لأغلق الباب الخارجي وربما نستطيع النوم قليلاً وسنصل مع هذا في الصباح».

وعادوا الى الفراش جميعاً ليناموا. لكن سليفيا قالت في نفسها بانها كانت خائفة من النوم من دون بوني. لذلك جلبوا فرشاً اكثر من بيت الطبيب ورتبوها وقاموا بعمل فراش مزدوج قرب سرير العمة جين.

الفصل الحادي عشر

كان وجـه الدكتـور (فيلد) في الصباح التالي مربداً عابسـاً، وكـان الاطفال جميعهم هادئين. إذ أن وجود السيد غرمشو غير المتوقع في الدولاب قد زرع الخوف والهلع في نفوسـهم.

«ماذا تتصورون وتتوقعون الأمر الذي كان يحاول عمله؟» همست بوني «أوه... فقـط ليتأكد من وجودكم هنا» قال الدكتور (فيلد) بشك «أو فقط كان يحاول اخافة المرأة العجوز، فيما اذا كنتم قد ذهبتم بعيداً، وفي كل

الاحـوال فقـد اوقعتموه وأفشلتم خطته انتم واوزاتكم بصورة فعالة. وأنا سآخذه الى شارع (بو) بعد الافطار وسـأضعـه في مسؤولية سلطات الامن» ولحسن الحظ كانت صحة العمة (جين) في تحسن هذا الصباح وبعد أن فحصها الطبيب أعلن ان بالامكان اعطاءها قليلاً من الطعام الدافىء وبعض الشاي والفطائر، والتي أعدتها بوني وسليفيا. وحيت العمة جين (بوني) ولطفها وقالت لهـا مبتسمـة بأنهـا لم تكن تعرفها من قبل وكان ذلك صحيحـاً فكـانت آخـر مرة رأت فيها (بوني) في حفل التعميد ثم أعلنت سليفيا بانها ستبقى مع عمتها في حين ذهب البقية مع السجين. وكان منظر السيد غرمشو قد جعلها تشعر بالغثيان من شدة الخوف.

ووجـد الطبيب بأنها خطة معقولة وقال لسيمون أن يخـرج ويـأتي بالتـاكسي وأخـرج السيـد غرمشو من الدولاب وقـد أبقـوه مقيداً لم يفك رباطه وكان متعجباً ومأخوذاً بالاستعدادات وبنفس لاهث طلب الرحمة منهم واقسم بانه سيكون حسن التصرف معهم.

«هذا يكفي يا رجل تستطيع أن تحتفظ بنفسك» قال الدكتـور وأراه المسدس جاهزاً للاطلاق والذي كان قد

أخذه من أدراج الدولاب. فهلع قلب السيد غرمشو لمرأى السدس في صمت «هل أحضر مسدسي؟» قالت بوني، ثم تذكرت بأنه في العربة في هابستيد. وبدا الدكتور متعجباً ثم قال «بان مسدساً واحداً سيكون كافياً لان يجعل المتهور الاحمق متزناً وهادئاً» وفي هذه اللحظة عاد سيمون ليقول بان العربة تنتظرهم تحت. وبعد توديع حار للعمة (جين) وسليفيا، طالبين منها ان تغلق الباب ولا تفتحه لأي شخص تركوها وخرجوا.

وفي شارع (پو) انتظروا عدة دقائق لحين ساق الدكتور امامه السجين الى مكتب الأمن ثم عاد مرة اخرى مصطحباً معه شرطيين اثنين وكانا شخصين بنظر حاد وثابت وقد مشيا وبينهما غرمشو ثم ركبوا العربة مرة اخرى. «أين سيأخذونه الآن» «سنذهب الى مكتب السيد غريب للاستفسار عن تصرف السيد غرمشو» قال الدكتور فيلد فقد ادعى بانه يعمل لدى السيد غريب»

ثم عادوا الى المنطقة التي فيها حانة لينكولن ثم الى المنزل الذي كانت فيه بوني وسليفيا قبل يوم. وقادهم مستخدم صغير يكاد أن يكون صبياً وله نظرات خائفة

سائراً امامهم الى غرفة الانتظار. ثم جاء بعد دقائق، رجل أشيب ضعيف قدم مسرعاً نحوهم وقال «ماذا استطيع أن أفعل لكم يا سادة؟ فأنا ابد نيفو غريب». وقد بدا مستغرباً مأخوذاً بالمفاجأة لرؤية الاطفال والسيد غرمشو وقد توقعت بوني بانه لا يمكن ان يختلق قصة لأية مصلحة في ولوباي، فهو يبدو رجلاً عطوفاً وغير مؤذ. وتكلم أحد ضباط شارع (پو) «أنا سام كاردنفان، ضابط وهذه بطاقتي هل بامكانك تعريفنا على هذا الشخص؟» وأشار الى السيد غرمشو.

«ك ك كلا... نعم نعم» قال السيد غريب وهو ينظر الى السيد غرمشو بكل ضيق وعدم راحة. «لقد كان كاتباً في مكتبي حتى رفضته بسبب تصرفاته «آه!» قال الضابط الآخر والذي كان اسمه (سپوك) «هل سبق لك أن رأيته بعد أن طردته؟» تساءل الدكتور فيلد «كلا بالطبع، فقد كان الترحيب به بارداً جداً في هذا المكتب وغير مرغوب فيه» «ومع ذلك فقد شوهد يدخل هذا المكتب أمس» قال الضابط كاردنفان «ولكن من دون علمي» قال السيد غريب وهو متعجب. ونظر الضابط كاردنفان بانفعال مشوب بعدم الثقة نحو السيد غريب، وكان يوشك أن

ينفجر معبراً عن شكوكه أمامه. حين تقدم الكاتب الذي سمح للجماعة بالدخول للمكتب وقال «أرجوك يا سيدي اسمح لي فأنا قد رأيته». وألقى السيد غرمشو نظرة مريبة نحو المتكلم «من أنت» قال الضابط (كاردنفان) انا مارموت، كاتب، انا مارموت، كاتب، ففي الامس وحين كان السيد غريب خارج المكتب يأكل ويتناول غذاءه، دخل هذا الرجل المقيد الى المكتب وطلب مني عنوان الآنسة (جين غرين) اخت السيد ولوباي «وقد أعطيته إياه؟» «نعم يا سيدي، فقد قال بانه يرغب أن يعطيها بعض اللوازم». «لوازم حقاً؟» قال الدكتور فيلد «بل أراد ان يقتلها بالتأكيد». «كلا، بالتأكيد» قال غرمشو وقد شحب لونه خوفاً «لقد أردت أن اتأكد منها، اذا ما كان الاطفال الذين هربوا من مدرسة أصدقائي قد عادوا اليها». «تسألها في الساعة الثالثة صباحاً؟ يا لها من قصة ملفقة بالتأكيد أردت أن تخيفها لتجعلها توقع لك بعض الوثائق والتي تعطيك الحق والقوة في الوصاية على الاطفال. وماذا بشأن لويتشا سلفكارب؟» استمر الطبيب وهو ينظر الى المحامي «هل أنت المسؤول عن ارسال تلك المرأة الشريرة الى المنزل في منطقة ولوباي؟»

وبـدا السيد غريب منزعجاً «انها احدى اقارب السيد ولوباي البعيدين، فهي من اعلى العوائل» قال المحامي «من دوقة كينسغتون وانا ما أزال احتفظ بوثائقهم». قال ذلك وسحب أحـد أدراجـه واخذها الضابط كاردنفتان «انه تزوير حقاً» قال الضابط «فقد رأيت ختم الورقة على العديد من الوثائق وهو يختلف عن هذا كلية». «اذن فقد خدعت» قال السيد غريب وقد شحب لونه وازداد ارتباكه «ولكن ما الهـدف من هذا العمل؟» «لماذا؟» قالت بوني «ان الآنسـة سلفكـارب قد أخـذت المنزل كله لنفسها وطردت جميع الخدم وأرسلتني انا وابنة عمي للعيش في مدرسة ليست أحسن من مدرسة عمل أو سجن وعاملتنا بقسـوة وخشـونـة. وأنـا أعتقد أيضاً بأن لها وللسيد غرمشو يداً في ارسال أبي وأمي للابحار في تلك السفينة والتي كانوا يعلمون بأنها كانت ستغرق» «كلا... كلا... ان ذلك عمل سيء... عمل سيء» قال السيد غريب «كلا.. كلا» قال غرمشو والذي أصبح الآن خائفاً جداً «نحن غير مسؤولين عن ذلك. فان السفينة قد غرقت بسبب المالك لهـا للحصـول على التأمينات وقد علمت ذلك من أحد أصدقائي الذي كان عاملاً في السفينة. اذ اخبرني بانهم

كانـوا سيبحـرون في تسلي ليقوموا بتنفيذ الخطة. وقد رأيت رسالة السيد ولوباي للبحث عن (ليتشا سلفكارب) لتكون مسؤولة عن الاطفال» قال السيد غريب بعصبية «وبذلك تآمرت مع الآنسة سلفكارب لقد أصبح كل شيء واضحـاً يا سيدي، خذوه، خذوه بعيداً يا سادة خذوه وراقبوه جيداً حتى يمثل امام المحكمة» «وبعد ذلك كانت الاحداث مملة ومؤلمة». قالت بوني وهي تسرد مادار لها بعـد ذلك ولسليفيا «كان علي أن اخبر الضابطين بكل التفـاصيـل التي اتـذكـرهـا والتي قامت بهـا الانسة سلفكارب وعملتها معنا وكان على الكاتب ان يسجل كل الكـلام». وكان السيد غريب يبدو مندهشاً اكثر فاكثر وخصوصاً حين أخبرتهم بما لقيناه ورأيناه من فتحة القـاطع في الممـر السري ورأيناهم يمزقون وصية أبي والمستنـدات الاخـرى. واخيراً قرروا ايداع غرمشو في السجن الى حين يمثل امام المحكمة بتهمة الخداع وان ضباط شارع (پو) سيذهبون غداً الى ولوباي للقبض على الآنسة سلفكارب «اوه كم ستفاجأ!» قالت سليفيا «فأنا اتمنى ان اكـون هناك لاشاهد هذا المنظر!».. ولكن يا سليفيا يجب أن تكوني هناك فهم يريدون منا الحضور

وخاصة أنت وأنا لنكون شهوداً». ولكن من الذي سيعنى بالعمة (جين) تساءلت سليفيا بتعجب؟

«ان الطبيب (فيلد) قال بانه سيجلب ممرضة للعناية بها لعدة ايام، ونحتاج الى يومين فقط لذلك، وبامكانك العودة مباشرة، فان الانسة سلفكارب سيقبض عليها يا سليفيا فأنني طلبت من السيد غريب بمجرد أن تتحسن صحة العمة (جين) أن يرتب الامور لمجيء العمة معنا والمعيشة في المنزل ولتكون الوصية علينا!» «اوه، نعم، نعم يا بوني يا لها من خطة رائعة» قالت سليفيا ووجهها يشرق بالفرحة والاعجاب: لقد كانت رفقة جميلة تلك التي جمعتهم معاً في القطار في اليوم التالي، فقد كانت تختلف كلية عن الرحلة الاولى المحزنة حين تركت سليفيا العمة جين، وقد تم حجز عربة خاصة ولم يكن لدى ضابط شارع (پو) أي أعتراض على سفر سيمون والاوز معهم. وبقي الدكتور (فيلد) ليرعى العمة جين، ولكنه ودّع الاطفال ودعاهم الى ان يأتوا ويناموا في شقته في المرة القادمة حين يأتون لزيارة العمة جين واخذها الى ولوباي. وكان السيد (غريب) المحامي يصاحبهم وقد أعطى تعليماته الى الكاتب ليحضر غداءً من اللحم الذي كانت

الروائح اللذيذة تفوح منه. وابتسمت سليفيا حين تذكرت علبة طعامها في الرحلة السابقة وقطع الكعك المحشاة بالمربى العائدة الى السيد غرمشو. اعتقد انه كان يتظاهر بنسيان نفسه حين سقطت الحقيبة على رآسه» قالت سليفيا لبوني

«لذلك فقد آخذ الى ولوباي» قالت بوني «كم إتمنى لو كنا قد تركناه في القطار! ومع ذلك فقد انقذ من الذئاب».

ولم تكن هناك أثناء الرحلة أية ذئاب، فقد ذهبت قطعان الذئاب الى الجهة الشمالية من البلاد، وكان القطار يسير خلال حقول جميلة مليئة بقطعان الماشية، أو يمر من خلال غابات خضر وذهبية مفروشة بالورد الاحمر والازرق.

مرَّ اليوم بسرور وهناء غابا عنهم طويلاً حيث غنى الاطفال وصاروا يقصون الحكايات الطريفة والجميلة، وحتى السيد غريب الذي كان جافاً في تصرفاته قد أثبتت بانه يعلم عدداً لا بأس به من الحكايات والقصص الظريفة وبين الضحك والكلام كان كارديفان وسپوك وضباط شارع (پو) منهمكين يكتبون في دفاترهم ملاحظات اكثر مما كتب عن الانسة سلفكارب من قبل

بوني وسليفيا ووصلوا محـطة ولوباي في الفجر. وكان السيد (غريب) قد كتب لصاحب الحانة في (بلاستبرن) عن وصولهم وقد أتى ليلاً ليستقبلهم.

«كم يبدو هذا الشارع مختلفاً» قالت سليفيا عندما ركبوا عربة تجرها الخيول آخر مرة حين تجولت في هذه المنطقة كان هناك عدد من الذئاب والثلج وكان الجو بارداً ومـظلماً والآن استطيع ان ارى البنايات في كل مكان، والجو صار الآن حاراً اكاد اختنق ولا استطيع التنفس».

وكانوا ما يزالون يرتدون الملابس التي خاطتها لهم (باترن) فلم يكن لديهم الوقت الكافي لشراء أية ملابس جديدة في لندن. وكانت عينا السيد (غريب) تتفحصهما حين جرى الكلام عن الملابس، فقد كان يحب أن يرى الاطفـال مرتبين ونظيفين. «نتنمى ان لا تكون الآنسة (سلفكارب) قد تخلصت من جميع ملابسنا» قالت بوني. وحين وصلوا الى حدود حديقة (ولوباي) شاهدوا علامة جديدة لم يكونوا رأوها حين تركوا (ولوباي) وكان مكتوباً عليهـا (مـدرسـة منطقة ولوباي خاصة ببنات النبلاء المحترمين) - الاتصال: الآنسة سلفكارب والسيدة

برسكت!

«يا لها من جرأة ووقاحة» صرخت بوني «هل تستطيع حقاً أن تحول منزلنا الى مدرسة!؟». «هذا أسوأ مما كنت اتوقعه» قال السيد غريب بانزعاج وغضب في حين بدأوا بالدخول الى بوابة المصيدة.

وقد أخذوا الطريق الاول والابعد للدخول الى المنزل من الخلف بعيداً عن الانظار حيث كان ضباط شارع (بو) يريدون أن يفاجئوا الانسة سلفكارب.

قال الضابط كاردنفان لبوني:

-«ألم تقولي بان هناك ممراً سرياً يا آنسة؟»

-«نعم وفتحة الكاهن والزنزانة» «جيد، هذا أحسن شيء سنضع بعض المنوم في حساء السيدة». وأوضح الخطة للسيد غريب والاطفال ثم دقوا الباب. وفتحه جيمس «آنسة بوني! آنسة سليفيا!» قال جيمس فرحاً ومتعجباً. وقفزت الطفلتان عليه تحتضنانه. «جيمس العزيز جيمس، هل أنت بخير؟ هل پاترن بخير؟ ما الذي يحدث هنا؟» «اوه.. أشياء فظيعة يا آنسة!».

«والآن والآن» قال سام كاردنفان «حسناً... يسرني أن نرى القدامى بخير ولكن العمل هو العمل، يجب أن

نضع الغطاء يا رجل. اين يمكن ان نخبىء العربة؟» فرد جيمس قائلاً: «ممكن ان نضعها في مخزن العربات يا سيدي، فهناك عربة الانسة سلفكارب فقط». وتم ابعاد العربة واختبأ المتآمرون في الملبنة (غرفة صنع الالبان) «والآن يا جيمس» قالت بوني وهي ترقص من الفـرح «يجب أن تذهب وتخبر الآنسة سلفكارب بعودتنا وبأننا تعساء يأكلنا الندم لهروبنا ولا تقل لها أي شيء عن هؤلاء الرجال» «حسناً يا آنسة» وبدأت رموشه ترتجف وتهتز سريعـاً «انهـا تدرس الطلاب في غرفـة الدرس، اذ أن الطلاب يدرسـون سـاعـة كاملة قبـل الافطار «وهل ان الدخول الى الممر السري ما يزال مفتوحاً يا جيمس؟ وهل اكتشفته الآنسة سلفكارب؟» «كلا للسؤال الثاني ونعم للسـؤال الاول» قال جيـمس وقـد سحـب الدولاب والبطانيات التي وضعها سابقاً لاخفاء الفتحة «طيب... اذهب اليها لآن يا جيمس واخبرها باننا جائعون». قالت بوني. «ولكن معذرة يا آنسة بوني فأنتم لا تبدون كذلك». قال جيمس. وتـرك الغـرفـة. وبعد خروجه فتح السيد غريب ورجلا الشرطة وسيمون الطريق نحو الممر السري.

وكان سيمون الذي ترك اوزاته في الاصطبل قد تردد

في الدخول لكن السيد غريب قال له «هيا ادخل تعال يا صبي، فكلما كان الشهود اكثر كان ذلك أحسن»، لذلك تبعه سيمون.

وانتظرت (بوني) وسليفيا بعض الوقت الى حين عودة جيمس فبدأتا بتوسيخ ثيابهما وتشعيث شعريهما واضعتين بعض الفحم والتراب على وجهيهما وجعلتا من نفسيهما وكأنهما يتيمتان: وعاد جيمس بعد مدة.

«يجب أن تأتيا الى غرفة الدرس حالاً يا آنستي» قال جيمس وقاد الطريق أمامهما وتبعتاه بهدوء وكان المنزل يحمل آثاراً في كل مكان لكونه قد تحول الى مدرسة مجدداً. ففي الثريا الموجودة في الصالة كانت هناك حبال قد ربطت للتعلق بها، وكانت منضدة البليارد قد تحولت الى سبورة وكانت صور الاجداد السابقين قد بدلت الى لافتات اعلان والاوراق الذهبية والمناضد النحاسية قد علاها الطباشير ولطخها الحبر.

وكانوا يعرفون بأن لديهم أصدقاء وأقرباء والاطفال لا يستطيعون السيطرة على مشاعرهم وأحاسيسهم في المنطقة حين اقتربوا من باب الدرس. ودق جيمس الباب وفتحه بعد أن سمع اجابة الانسة سلفكارب «تفضل»

ودخـل ووقف جانبيا رأسـه فاسحـاً للاطفـال المجـال بالدخـول. بنظرة خاطفة رأوا فيها ان جميع الاثاث قد تغير حيث وضعت الرحلات على الارض. وكان الاطفال أكبر من اولئك الذين في مدرسة السيدة (برسكت) وقد جلسوا على هذه الرحلات. وبنظرات بعيدة مختلفة عن نظرات الفـرح ممـزوجة بالانفعال والألم ارتسمت على الوجـوه، كانت الانسة سلفكارب قد وقفت على منضدة قرب السبـورة تحمل عصاة في يدها، والسيدة برسكت هناك أيضاً جالسة على كرسي المعلمة، كانت ترتدي زياً خاصـاً. ولكن الانسة سلفكارب تبدو فرحةً بانتصارها «هكـذا» قالت وقد اطلقت صوتاً قوياً «هكذا قد عدتما اذن، تعـالا الى هنـا». وتقـدمت الفتـاتـان ببطء وهما ترتجفان خوفاً وفرحاً، وقفتا تحت المنضدة وكانت الانسة سلفكارب طويلة جداً فاحنت الفتاتان رأسيهما للخلف حتى تستيطعان النظر اليها. «أرجوك اقبلينا مرة اخرى في مدرستـك يا آنسة سلفكارب» قالت بوني بود «نحن تعبتـان، جائعتـان قد أوجعنا البرد». وتذكرت سليفيا الطعام الذي تناولته في القطار، اللحم والخوخ. وعضت شفتيهـا وحاولت أن تبدو حزينة. وكان (جيمس) يقف

خلفهم يحرك النار ويضرب على المدفأة لكن لم يكن أحد قد انتبه اليه، حيث كانت كل العيون متجهة نحو التائبتين العائدتين. «جائعتين؟» قالت الآنسة سلفكارب ستكونان اكثر جوعاً من قبل. هل تعتقدان ان بامكانكما بعد هروبكما وقضائكما شهرين تلعبان في الحقول أن تعودا الى هنا متى ما تشاءان وتتصوران ان بامكانكما اكل اللحم والفطائر وحسب الرغبة؟ ان ذلك محال، فستحرمان الطعام ثلاثة أيام. ربما سيعطيكما ذلك درساً بليغاً وستضربان وستريان ما الذي سيفعله السجن لروحيكما. جيمس: اذهب واحضر مفاتيح السجن» «كلا يا آنسة» قال جيمس بحزم فأنا اطيع بعض اوامرك، لانه ليس لدي أي بديل. لكن المساعدة في وضع هؤلاء الاطفال في الخطر فأمر لا أفعله ولن أفعله فهو ليس مسموحاً به في الدين». ثم ترك الغرفة وقد صفق الباب خلفه بقوة «انا سأحضر المفاتيح يا ليتشا» قالت السيدة برسكت ووقفت فوراً ونزلت الانسة سلفكارب من المنصة «آنسة غرين» قالت وكانت عيناها تقدحان شرراً ثم صاحت بعصبية ظاهرة ومقتها الشديد «بوني مدي يديك للأمام» وتراجعت بوني خطوة الى الخلف، وتبعتها الآنسة

سلفكارب ورفعت العصا مهددة وكتم الاطفال الجالسون على الرحلات أنفاسهم، ولكن في اللحظة التي نزلت فيها العصا، انفرجت فتحة القاطع الموجودة في المدفأة وخرج السيد غريب منها ماسكاً يد الآنسة سلفكارب، وبعد لحظة فقط كانت المربية قد توقفت عن كل حركة ثم امسك بيديها فقالت «من أنت يا سيدي؟ دعني بسرعة. ما الذي تفعله في منزلي؟». «منزلك يا سيدتي؟ منزلك؟ الا تتذكرين يا آنسة سلفكارب؟» قال السيد غريب «فانا... انا المحامي الذي طلب مني قريبكم البعيد السيد (ولوباي غرين) لابحث عنك وأعرض عليك لتكوني مربية ابنته. واذكرك بانك جلبت معك شهادة من الدوقة كينسغتون الا تتذكرين؟» وشحب لون الانسة سلفكارب حين صرخ السيد غريب بوجهها «ومن أعطاك الحق في أن تجعلي هذا البيت مدرسة لتربية الاطفال يا امرأة؟

ومن أجاز لك ومن أخبرك بأنك تستطيعين معاملة الاطفال بمثل هذه القسوة؟ وان لك الحق في ضربهم وتجويعهم وحبسهم في السجون؟ اعلمي انه لا ينفع الاعتراض فقد كنت خلف هذا القاطع وسمعت كل كلمة تفوهت بها».

«لقد كان ذلك مزحة» قالت الانسة سلفكارب، ذلك

وهي تحاول أن تبتسم «فليس لدي اية نية حقيقية في حبسها في الزنـزانـة» وفي تلك اللحظة عادت السيدة برسكت مرة اخـرى حاملة معهـا مجموعة من المفاتيح وقالت «لا نستطيع استخدام السجن العلوي يا ليتشا فان لوسي وايمـا محبـوستان هناك! لذلك فقد احضرت مفـاتيـح الاسفـل وتوقفت عن الكلام حين رأت السيد غريب وخلفه ضابط شارع (بو) واغلقت فمها وسكتت.

«مجرد مزحة ، ها حقاً مجرد مزحة» قال السيد غريب منزعجـاً «يـا سيد كاردنفان القي القبض على هاتين المرأتين لو سمحت حتى نتأكد مما جرى ونضعهما في السجن وبـامكـانـك كذلك أخذ المفاتيح لتضعها تحت تصرفـك». «لايمكنـك ان تفعل هذا، فليس لديك الحق بذلك» قالت الآنسـة سلفكـارب ذلك وهي تحـاول أن تتملص من قبضـة السيـد كاردنفـان «انا لدي وثائق بتـوقيـع السيـد ولوبـاي تخـولني صلاحيـة التصرف بممتلكاته كما أشاء في حالة وفاته، وكذلك بتعييني وصية على الاطفال»

«وثـائق موقعـة من قبـل السيد ولوباي؟ صه» قال السيد غريب صارخاً بوجهها: «يجب أن تعلمي يا آنسة

بان زميلك غرمشـــو والذي هو الآن في السجن قد اعترف بالقصة كاملة.

وفي هذه اللحظة تخلت السيدة (برسكت) عن المعركة كلها وسمحت لنفسها بأن تقيد من قبل الضابط سپوك قائلة «ان غرمشـــو احمق... حقـاً أحمق ومغفل». لكن الانسة سلفكارب استمرت تناقش وتجاهد في معركتها، فصرخت «لقد أخبرتك بأنني قد رأيت السيد ولوباي قبل سفره وقد ترك لي حرية التصرف بكل شيء وما ذكرته هو الحق» وفي هذه اللحظة سمعوا أصواتاً تأتي من الممر، وسمعـــوا صوتـــاً يقـــول: «مـــا هذا الذي يحـدث بحق الشيطان؟ رحلات، سبورات، السجادات المتخفية، هل تحول بيتي الى اصلاحية أحداث؟» ثم انفتحت الباب ودخـــل رجل، فاذا به السيد ولوباي غرين ويقف خلفه جيمس يضحك بفرح وشحب وجه (بوني) غير مصدقة عينيها، ووقفت للحظة ساكنة لا تستطيع ولا تقوى على الحـــركـــة وقـــد فتحت عينيها واسعتين وفغرت فاها ثم صرخت صرخة واحدة «أبي» وركضت واحتضنته بحرارة.

«حـــســنـــاً يا شمعتي! هل أحسست بغيـــابي! هل

افتقدتني؟ هل كنت فتاة طيبة؟ وقرأت كتبك وحضرت واجباتك؟ فانني استطيع أن اخمن بأنك لم تفعلي ذلك». قال والدها وهو يحتضنها «انك تبدين وردية اللون كالزهرة وسمراء كانك ثمرة عليق لابد انك كنت الوقت كله خارج المنزل. بدلاً من الخياطة وتعلم الفرنسية وكذلك سليفيا، يا الهي ما هذا التغيير الذي طرأ على الفتاة الطيبة الرقيقة التي تركناها بيضاء اللون فصارت شيئاً آخر؟ حسناً... حسناً، ان الفتيات سيكن فتيات، ولكن ما كل هذا يا سيدتي؟» قال السيد ولوباي وهو يخص الآنسة سلفكارب بالكلام ومهدداً إياها «ما كل هذه الافعال فانا لم اعطك الحق في أن تجعلي منزلي مدرسة خاصة، كلا بحق الشيطان اذ ان كونك ابنة عمي من الدرجة الرابعة لا يعطيك الحق بذلك، فمن الذي سمح لك؟». «ولكن يا سيدي، تدخل السيد غريب و الذي كان في البداية ساكناً وقد استعاد تنفسه «يا سيد ولوباي! ان ذلك مضحك حقاً! لقد توقعنا بانك غرقت مع سفينة تسلي» وانفجر السيد ولوباي بضحكة قوية ثم اضاف غريب «هذا ما اخبرتني بوني به حين وصلت الى مكتبي.» «لقد كنا بقربكم يا سيد غريب، لقد زرت مكتبك أمس،

وعلمت بأنـك غادرت الى ولوباي، وكانت السيدة غرين قلقة وتود العودة الى الاطفال، لذلك فقد استأجرت قطاراً خاصاً وجئنا خلفك». «ولكن ألم تكونوا في السفينة التي تحـطمت يا ولوباي؟». وضاع جواب هذا السؤال امام بكـاء بوني «أليست امي هنـا» هل آتت معك؟ «نعم يا ابنتي وهي مشتاقة لرؤيتك». وقبل أن تنتهي الجملة في فمـه كانت بوني خارج الغـرفـة، ولم تتبعهـا سليفيـا لشعورها بالعطف لاستقبال بوني لوالدتها. وفكرت بأن بوني ووالدتها يجب ان تتركا وحدهما في هذه اللحظات الجميلة. وكان السيد ولوباي والسيد غريب قد جلسا في زاوية من زوايا غرفة الدرس. وكان السيد غريب يتكلم بقـوة في حين كان السيـد ولوبـاي يستمع اليه وعيناه الزرقـاوان مفتوحتين وهو يتساءل «لماذا؟ اللعنة! لماذا؟ لماذا؟» واستدار نحو ابنة اخيه وقال «هل هذا صحيح يا سليفيا؟ هل ان الآنسة سلفكارب قد فعلت كل هذا؟» نعم يا سيـدي حقـاً لقد فعلت كل هذا». حسناً وقد تركت التصرف بهذه الاشياء عليك يا آنسة» قال السيد غريب وهو ينظر الى الآنسة سلفكارب «اذهبوا بها الى السجن يا غريب، وبعـد أن يكمـل هذا الرجـلان افـطارهمـا

بأمكانهما اخذها الى السجن» اوه يا سيدّي...» قالت سليفيا حسناً يا آنسة ماذا تريدين يا قطة؟» «هل استطيع الذهاب معهم الى السجن يا سيدي، فانا اعتقد بان هناك فتاتين قد حبستا فيه من قبل الآنسة سلفكارب. وبالتأكيد هما الآن جائعتان خائفتان وحزينتان ترتجفان برداً وهلعاً»

«وهل وقع هذا حقاً يا الهي سنذهب كلنا الى هناك» قال السيد ولوباي ولم تكن سليفيا قد زارت السجن الموجود في ولوباي من قبل فقد كان بعيداً وفي منطقة مظلمة لم يدخله المالك للمنطقة ولا عائلته على الرغم من أن مالكيه السابقين كانوا من سلالة ولوباي. ونزلوا خطوات حذرة للاسفل وكانوا يتحسسون المكان لانه كان مظلماً والممر ضيقاً ذا أرضية صخرية، والصوت الوحيد هو صدى وقع أقدامهم على الماء. واقشعر بدن سليفيا حين تذكرت فيه الانسة سلفكارب في حبسها وبوني في هذا المكان فقالت: «لنسرع يا للوسي وايما! يا للمسكينتين فهما الآن متجمدتان برداً وخوفاً فقال السيد غريب «يا آلهي ان هذا العمل الرهيب يوضح ويشرح كل شيء انه لأمر عجيب ورهيب ان يوضع الاطفال في مثل هذا

المكـان!» ومشت الانسـة سلفكـارب والسيدة برسكت صامتتـين لا تنـظران يميناً أو يسـاراً وقـد قادهمـا الضابطان في شارع (پو) ولم تكن حالة لوسي وايما سيئة. وكان ممكناً ان يكون كذلك لولا فضل جيمس الطيب وما فعله لهمـا حين لم يستطع اخراجهما ولكنه كان يجلب لهما البطانيات وعدداً من الشموع ليتمكنا من اشعال النار وكان يجهزهما بالطعام. ولكنهما كانتا على الرغم من ذلك تشعران بالبرد والتعاسة. وكانت سعادتهما غامرة جداً وملموسة حين رآتا سليفيا.

ورقصت (سليفيـا) وقفزت الى الاعلى والاسفل حين وجد جيمس المفاتيح وأسرعت لتخرجهما الى الاعلى من دون أن تنتـظر رؤية المشهد الذي صارت فيه الانسة سلفكـارب والسيدة برسكت حين تحبسان بدلاً عنهما «هيا... هيا... اقتربا بسرعة من هذه النار لتبعث فيكما الدفء، وستقـوم (پاترن) باطعامكما بعض الحساء... اوه كلا... كلا... لقـد نسيت فان (پـاترن) ليست هنا واعتقد بأنني استطيع أن أفعل شيئاً».

وفي الحقيقة انهم لم يستطيعوا فعل شيء الا الوصول الى القاعة الكبيرة حيث تلقوا هناك صرخة ترحيب قوية

من بوني :

«سليفيا، ايما، لوسي... هيا... شاهدن وانظرن الى والدتي انها تبدو مختلفة... مختلفة جداً، فهي بصحة جيدة».

سرن بخجل نحو الصالة وكانت فيها (پاترن) التي دعيت حالا من قبل سيمون وبكامل الترحيب وعلى أحد خيول العربة، كانت تقبل الجميع بعينين دامعتين وقدمت اكـــواب الحليب والشكـــولاته للجميع. «حسناً» قال صوت فرح «وأين ابنتي الثانية». ودخل شخص لم تكن سليفيا تتوقع حضوره.

وتكاد لا تستطيع ان تميزه فكان شخصاً ضعيفاً جميلاً ذا عينين براقتين فاذا بها السيدة غرين! وأخذت سليفيا بين ذراعيها ورحبت بها وبالطفلتين المحبوستين وقالت: «والآن اريد ان اسمع قصتكن كلمة، كلمة من البداية. وانا فخورة بكن وأما بالنسبة للانسة سلفكارب ابنة عم والدك كما تدعي، اتمنى ان ترسل الى ساحل بوتاني».

«ولكن يا عمة صوفي، لابد أن قصتك اكثر مغامرة واشد تشويقاً من قصتنا، الم تكونا في السفينة التي غرقت؟».

«نعم بالتأكيد، فقد كنا هناك» قالت السيدة (غرين)

وهي تضحك «وقد قضينا انا وعمك ستة ايام راكبين قارباً صغيراً جداً ذا مجذاف وكان طعامنا الوحيد الكريب والبرتقال والذي كان من جميل المصادفة بكميات مناسبة وهذا من حسن حظنا. ثم ركبنا قارب صيد يركبه عادة مجموعة من الرجال الذين لا يحسن احد منهم التكلم بالانكليزية.

وحملونا الى ميناء في بلادهم وكانت جزيرة من جزر الكناري. ولم يقدم لنا اي طعام سوى سمك السردين وزيت الزيتون. لقد أمضيت الوقت وأنا مستغربة كيف أمضيت الوقت وكيف ذهبت عني الامراض والصدمات وقد اكد السيد ولوباي بأنهم كانوا يهتمون بي ويخصونني بعناية كبيرة. فعندما تحطم القارب الصغير بدأت صحتي تسوء ولما وصلنا الى جزر الكناري عادت الي عافيتي وقررنا العودة الى الوطن بأول باخرة بريد، ولكنهم كانوا لا يزورون بلادنا الا كل ثلاثة أشهر. وكانت هناك باخرة قد أبحرت قبلنا بقليل وكان علينا أن ننتظر طويلاً لابحار سفينة اخرى.

وكان الهدوء والسكينة والشمس اثناء رحلتنا قد ساعدتنا على المضي لاستكمال علاجي كما ترين.»

«كم أنـا سعيدة بقدومك وعدم ذهابك حول العالم» قالت بوني باكيـة ودخـل السيـد ولوباي ضاحكاً وقال «حسنـاً حسناً، هل وجدت السيدة الدجاجة أفراخها؟ ولكنني ارى حالة البيت سيئة جداً لا يمكن وصفها وعلينا ان نخطط لتحسين وضع البيت وتجديده وماذا سنفعل بهؤلاء الاطفال اليتامى؟»

«آه يا أبي» قالت بوني بسعادة «لدي فكرة حولهم» «الديك حقاً حقاً يا عزيزتي» «الا تعتقدين بان العمة جين تستـطيـع ان تأتي وتعيش في منـزل الارملة عبر الحديقة وأن تدير مدرسة لهم فان العمة جين تحب الاطفال»

«ماذا العمة جين تدير مدرسة بمثل هذا العمر؟»

«ان العمة جين معتمدة على نفسها» قالت بوني «فهي لا تريـد أن تشعر بأنها تعيش على صدقة أحد، ولكن بالامكـان جلب أشخاص لمساعدتها، أشخاص طيبين، كما ان باستطاعتها ان تدرس البنات» وبدت لوسي وايما مؤيدتين للفكرة التي طرحها السيد ولوباي الطيب وفي تلك الليلة اضيئت المصـابيـح واقيمت حفلة سعيـدة للعشاء في القاعة الكبيرة وكان سپوك وكارديفان ضابطا

شارع (پو) قد غادرا لوضع السجناء في أقرب سجن، كما ان الخدم الذين عينتهم الآنسة سلفكارب قد طردوا من المنزل، وكان (سيمون) قد ركض مسرعاً نحو الريف ليخبر جميع الخدم باخبار عودة السيد ولوباي الى المنزل، سولي وتمبسون وجون غروم والسيدة شمبكن وعادوا جميعاً مسرعين الى المنزل. أما بالنسبة للاطفال اليتامى، فكانوا مندهشين للمستقبل الجميل الذي سينتظرهم في ولوباي وقد جلسوا حول طاولاتهم يأكلون لحم الديك الرومي وعيونهم تنتقل من خدود ديانا برسكت الشاحبة نحو عينيها المحمرتين حيث كانت قبلاً مرحة سعيدة وفرحة. أما الآن فليس لديها أي صديق يقف بجانبها. وكانت السيدة برسكت قد باعت المدرسة في بلاستبرن وبقيت بهذه الحالة. وأما (ديانا) فليس لها أي مكان تلجأ اليه، وكانت مجبرة على البقاء مع الاطفال اليتامى (والذي يمكن ان يقال عنه إنه نموذج لطيبة العمة (جين). وقد رأت تحسينات طرأت على شخصيتها).

وكان بعض أولاد الذوات المجاورين وبنات النبلاء قد جلبوا من قبل أهلهم الذين يعيشون في مناطق قريبة من

المنزل الكبير. أما بقية الاطفال فكانوا ينتظرون حضور أهاليهم لأخذهم.

وجلس سيمون بين بوني وسليفيا وكان السيد ولوباي يرمقهم بنظرات تفيض عطفاً وحناناً بين حين وحين، وقد سمع بعضاً من صور شجاعة سيمون في انقاذ الفتاتين من مدرسة السيدة برسكت الفظيعة، ومساعدته في انقاذ العمة جين في اثناء مرضها. وكانت النقود التي صرفها قد اعيدت له بمبالغ مضاعفة «يبدو وكأنه سنتبنى ولداً لنا وكذلك ستكون لدينا فتاة متبناة». قال السيد ولوباي «اليس كذلك يا ولدي؟ ما الذي سنفعله معك إذن؟ نضعك في مدرسة؟» «كلا شكراً يا سيد ولوباي» قال سيمون بحزم شاكراً السيد ولوباي «ان المدرسة لا تناسبني «ماذا إذن» لا يمكن ان تبقى هكذا!»

«أنا سأصبح رساماً» أوضح سيمون «فان الدكتور فيلد قال باني سأكون افضل في المستقبل وأخبرته بانه بامكاني البقاء معه والذهاب الى احدى مدارس لندن للفنون».

«اوه يا سيمون» قالت بوني بحزن وتأثر «وتترك ولوباي؟» «سأعود في العطل» قال سيمون «اتتذكرين ما

وعدنا به السيد ولدرنس بانني اريد ان ارسم صورة وادي ونسبايد الكبير ومئات الامكان المحيطة بها؟» «انك فتى ناضج ومتعقل» أيدّ السيد ولوباي ما ذهب اليه سيمون. «حسناً تذكر دائماً بانك اذا ما فكرت بالعودة. فان هناك ترحيباً حاراً بك في ولوباي».

«شكراً لك يا سيد ولوباي» قال سيمون «والآن اسمحوا لي فعلي العودة الى كهفي لاطمئن على نحلاتي وبيوتها» «تصبح على خير يا سيمون سنأتي غداً لزيارتك» قالت بوني وسليفيا.

«لقد مضى وقت طويل على موعد نوم هاتين الطفلتين» قال السيد ولوباي «لقد كانتا تتجولان الليل كله هيا اذهبا الى الفراش يا طفلتي العزيزتين ستأتي الوالدة بين حين وآخر للاطمئنان عليكما في الفراش»

وكانت غرفتهما الخاصة قد أعدّت وحضرت، وصار الاطفال سعداء بالنوم على المفارش الوثيرة الحريرية المريحة «اوه يا بوني!» قالت سليفيا «ألم تري الملابس الجديدة التي صنعتها باترن لنا»؟

«لقد اعتدت على ملابس الاولاد» قالت بوني «ما هذا الهراء يا آنسة» قالت باترن وهي تقبل بوني «والآن هيا

الى النوم يا عزيزتيَّ ولا تستيقظا حتى ننادي عليكما فقد كان لدينـا ما يكفي من القلق لهـذا اليوم. ولدينا شيء جميل أيضاً ان نطعم مئات كثيرة من اليتامى الذين في السادسة والسابعة من اعمارهم. هيا يا آنسة لا تتكلمي حتى السـاعـة الثـامنـة ولا تحلمي في نومك! «احلم» همست بوني والنعاس يداعب عينيها «لا نستطيع منع أنفسنـا من الاحلام يا پاترن، فلدينا الكثير لنحلم به، الذئـاب المفترسة، الانسة سلفكارب الذهاب الى لندن، مساعدة العمة جين، ثم أبي وامي وقد ركبا قارباً مليئاً بالكريب والبرتقال والعنب» ثم راحت في نوم عميق.

وبدأت الانوار تنطفىء الواحد تلو الآخر حتى تسلل الظلام الى كل زاوية، وعمَّ السكون في البيت الكبير، وعلى الرغم من أن هذا المنزل قد شهد العديد من الاحداث الغـريبـة ـ صيـد الذئـاب، وشرب النبيـذ والاعراس، والحـروب ولكن لم تكن هناك أية مغامرة تشبه مغامرة سليفيا وبوني غرين.....

فريق التوثيق
الألكتروني

دار الحرية للطباعة
بغداد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ٨٩٦ لسنة ١٩٨٩

السعر ٦٥٠ فلساً

دار الحرية للطباعة
بغداد